الاتجاه الواقعي في الرواية العربية المصرية في النصف الأخير من القرن العشرين

دراسة انتقائية تحليلية

بحث جامعي
لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

كاشف جمال

تحت إشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقي

مركز الدراسات العربية و الإفريقية

مدرسة دراسات اللغة و الأدب و الثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند- 110067

2013

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110 067 (india)
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

Prof. A. Basheer Ahmad
Chairperson

Telephone : 26704253
Fax :91-11-26717525

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled ***"Realism in Egyptian Arabic Novels in the Second half of the 20th Century(An Analytical Selective Study)"*** submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Kashif

Kashif Jamal

(Research Scholar)

F. U. F. 24.7.13

Supervisor

Prof. F.U. Farooqi

CAAS/SLL&CS/JNU

Prof. F.U. Farooqi
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS, JNU
New Delhi-110067

24-7-13

Chairperson

Prof. A. Basheer Ahmad

CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067.

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

مما لا شك فيه أن الروايات العربية منذ البداية قد تأثرت بمختلف النزعات والاتجاهات والتيارات الأدبية المستوردة من الغرب. وهذه الاتجاهات والنزعات لم تخلق من العدم على الاطلاق بل كانت ظروف ملائمة وأحوال مناسبة خلفها دفعت ومهدت الى بروزها وبزوغها. فلا يمكن لنا أن نتصور أي مذهب أدبي في معزل عن ذلك الجو الذي كان مهد طريقا وأدى دورا رئيسيا في نموه ونشأته. مثلا هنا، من المستحيل تصور المذهب الرومانتيكي في معزل عن ذلك التيار الفلسفي الذي يمثله "جان جاك روسو. وهذاالتيار الفلسفي يتمثل في الثورة على جميع القيود والأغلال التي تكبل عواطف الإنسان وتكبح جماح شعوره وإحساسه الطبيعي الفطري. وعلى هذا المنوال كل اتجاه ومذهب أدبي يرجع أصله إلى أي فلسفة أو نظرية أو حادثة ما بالتأكيد.

من الاتجاهات التي أثرت الآداب والفنون عامة ، والأدب العربي خاصة ، هوالاتجاه الواقعي . هذاالاتجاه قد نشأ في فرنسا حوالي 1830م ثم ازدهر في الخمسينيات حتى أصبح في النصف الأخير نزعة ملموسة محددة في الأدب الأوربي. أما ظهورهذاالاتجاه في الأدب العربي فهو يتطلب لنا أن نرجع الى الأدب العربي المصري. لأن الأدب العربي المصري هو أسبق تناولا لهذا الاتجاه البارزبفضل حملة نابليون التي تعتبرمعلما في تاريخ الأدب العربي الحديث.فالروايات المصرية معظمها قد تبلورت فيها مبادئ الواقعية بصفة أساسية بحيث حوادثها الجزئية مستمدة من واقع الحياة الحاضرة لا من التاريخ ولا من الخيال، لأن التاريخ والخيال ليسا سوى الإطارالخارجي للقصة أوالمسرحية.

أما المدرسة الواقعية فهو مذهب موضوعي يدعو الى تسجيل الملاحظات والمشاهدات بغيرأن يمزجها الأديب بأحاسيسه وعواطفه الخاصة مع رعاية تامة للموضوعية الخالصة. وبسبب هذا القيود الصارمة ما نال الشعرحظا وافرا من هذه المدرسة بكون بنائه على الخيال والعواطف والأحاسيس الجياشة الفائرة ،ومادام الأدب زاخرا بهذه الأوصاف والخصائص ليس من الممكن أن يكون في اطار المدرسة الواقعية. فالكتاب الذين عالجوا هذه النزعة في كتاباتهم تتجاوز عددهم من عدد ملحوظ بحيث لا يمكن لأي باحث أن يصرف النظرعنها. ونظرالى هذا العدد الوفير للكتاب،التمعت في خاطري فكرة وأحسست بشوق جارف الى أن أقوم بدراسة جدية حول هذا الاتجاه الواقعي اذا سنحت لي فرصة معتمدا على الرويات المصرية المنتخبة وسأنكشف عنها الجوانب الكامنة. فإنطلاقا من هذه الفكرة لقد قررت دراسة ثلاثة روايات مصرية منتخبة تتجلى فيها العنصرالواقعي بكل صراحة ووضوح. أما الغرض الأساسي من هذاالبحث فهوالالتزام بعرض الطابع الواقعي في الروايات المصرية المنتخبة من حيث سماتها وخصائصها وجمالها وحسنها وقبحها في ضوء جديد دون التأثر بالأحكام التي صدرت من قبل سواء كانت في كتب أو في مقالات متناثرة على صفحات المجلات أوالصحف.

فقد قسمت بحثي في ثلاثة أبواب رئيسية بالاضافة الى مقدمة وخاتمة. وفي النهاية ألحقت قائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها واستفدت منها في إعداد هذاالبحث. أما الباب الأول فهو يتعلق "بالواقعية ، مفهومها، نشأتها وذيوعها في الأدب المصري. وهذاالباب يشتمل على ثلاثة فصول. ففي الفصل الأول تحدثت وجيزا عن تعريف الواقعية و أقسامها عند مختلف الأدباء والنقاد وذكرت فيه أيضا بالإيجاز المدارس الأدبية التي كانت سائدة قبل الواقعية . وفي الفصل الثاني تكلمت عن دورالواقعية في الأدب العربي بدأ من العصرالجاهلي الى العصرالحديث. وفي الفصل الثالث ناقشت فيه ذيوع الواقعية في الأدب العربي الروائي المصري.

أما الباب الثاني فهو يحاول تقديم نبذة عن " الأدباء البارزين الذين قاموا بمساهمة في إثرا النزعة الواقعية في الأدب العربي. وهذاالباب أيضا يضم ثلاثة فصول. يتناول الفصل الأول مساهمة عبدالرحمن الشرقاوي في تخليق الأدب الروائي العربي ذات النزعة الواقعية. والفصل الثاني يبحث في مساهمة نجيب محفوظ في إثراء الاتجاه الواقعي في الروايات العربية. والفصل الثالث يعالج دور يوسف إدريس في تخليق الأدب الواقعي في رواياته.

أماالباب الثالث الأخير فقد قمت فيه بدراسة نقدية لثلاث روايات واقعية: "زقاق المدق" لنجيب محفوظ و "الأرض" لعبدالرحمن الشرقاوي و"الحرام" ليوسف إدريس. درست في الفصل الأول رواية "زقاق المدق" دراسة نقدية من منظور الاتجاه الواقعي. والفصل الثاني فخصصناه في رواية "الأرض" لدراسة العنصر الواقعي وقمت بابراز ما فيها من ذكر للمجتمع المصري. وأما الفصل الأخير فقد سلطت الضوء على رواية " الحرام" في إطارالنزعة الواقعية.

ومن الملاحظ أن نذكرهنا بأننى لم أقم في دراستي هذه بقراءة ودراسة جميع الروايات العربية المصرية التي يتواجد فيها العنصرالواقعي، وذلك لأن هذاالأمر يستغرق وقتا طويلا ويتطلب بحثا مستفيضا، ولا يمكن لي القيام بهذا المهم في هذه العجالة. وقد خصصت بحثي المتواضع هذا لدراسة أهم الروايات العربية التي تعالج موضوع الواقعية بكل أبعاده وعناصره وزواياه.

وأخير وليس آخرا، أشكر أستاذي ومشرفي المؤقر، البروفيسور فيضان الله الفاروقي حفظه الله الذي بذل جهودا مشكورة لاجراء اصلاحات وتعديلات في هذاالبحث، وذلك بالرغم من كثرة شواغله وقيامه بمهمة التدريس، وحقا كان خير مشير في هذاالعمل وانتفعت بتوجيهاته كثيرا. فجزاه الله أحسن الجزاء . كما أشكرجميع أساتذة مركزالدراسات العربية والافريقية بجامعة جواهر لال نهرو الذين لهم دوربارز في تثقيف

ذهني وتربية شعوري. وكيف أنسى أصدقائي وزملائي الذين مدوا الي يد العون والمساعدة في اعداد هذاالبحث فلهم الشكر الجزيل.

وفي النهاية،أسأل الله العلي القدير أن يوفقني لما أصبو إليه ، وأن يأخذ بيدي إلى النجاح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الباحث

كاشف جمال

جامعة جواهر لال نهرو- نيودهلي

20/07/2013

الباب الأول

الواقعية: مفهومها، نشأتها وذيوعها في الأدب المصري.

الفصل الأول: ماهي الواقعية

الفصل الثاني: الواقعية في الأدب العربي

الفصل الثالث: ذيوع الواقعية في الأدب العربي المصري

الفصل الأول

ماهي الواقعية

قبل أن نقوم بدراسة المذهب الواقعي بأي قدرمن التفصيل، يناسب لناأن نستعرض المذاهب والمدارس الأدبية التي سبقت الواقعية لكي لا يصعب علينا فهم الخلفية الموجودة لهذاالمذهب الأدبي البارز.

ومن المعلوم أن المذهب الأدبي لاينشأ عادة من تباين الآراء حوله حقبة من الزمن، وإنما يكون وليد ما يضطرب في عصر من تغيرات وتحولات و تقلبات في أوضاع المجتمع وطابع الحياة. المذهب الأدبي يظهر إذن في عصر معين كثمرة لظروف ومقتضيات خاصة فيطغى على غيره من المذاهب حتى يظل سائدا مسيطرا. فإذا فترت دواعيه رأيناه يتخلى تدريجيا عن صدارته أمام مذهب أدبي جديد تهيأت له أسباب الوجود. وعلى هذا تتعاقب المذاهب الأدبية بتعاقب العصور، ويأخذ اللاحق ماترك السابق مع النقص منه أو الزيادة عليه تبعا لأوضاع المجتمع في عصره.

قبل أن جاء المذهب الواقعي الى حيزالوجود كان هناك مذهبان أدبيان متميزان أولهما:المذهب الكلاسيكي وثانيهما: المذهب الرومانسي. ولهذين المذهبين شأن كبير في ايجاد الواقعية. ولذا يجدربنا أن نلخص ما يحمله هذان المذهبان في طياتهما من خيال وفكرة عبرالعصور.

الكلاسيكية

وقد ذهب الأدباء والنقاد في تحديد تعريف الكلاسيكية إلى مذاهب شتى حتى أصبح من العسير الاتفاق على تعريف واحد أو نقاط معينة. يقول صاحب

"A Dictionary of Literary Terms" قبل أن يقدم تعريف" الكلاسيكية" إن هذا الاصطلاح مثل الرومانسية مملوء بالمعانى المتنوعة والمتناقضة"

ولكن مهما كان الأمريمكن لنا أن نحاول استخراج المفهوم وتحديده ولو من متاهات التعريفات...

يقول صاحب القاموس السالف الذكر في تعريف الكلاسيكية : "بالعموم عندما نتحدث عن الكلاسيكية نعنى منها الأساليب والمبادئ والأشكال والتقاليد والموضوعات والادراكات المتبعة والملتزمة من قبل الكتاب والكلاسيكين (الكتاب والإغريق والرومان) وبالتوسع تأثيرهم وحضورهم في أعمال الكتاب المتأخرين".

ويقدم صاحب "قاموس المصطلحات الأدبية" تعريف الكلاسيكية على هذا النمط: "الكلاسيكية هي "المبادئ والأساليب الملتزمة في آداب قدماء الإغريق والرومان أو فنونهما كما هي تعنى اتباع المعايير التقليدية (كالبساطة والاعتدال وتناسب الأجزاء) المعترف بها في كل زمان ومكان".[1]

ويشير أحمد قبش في كتابه "تاريخ الشعر العربي الحديث" إلى أن كلمة "كلاسيك" مشتقة من" كلاسوس" الكلمة اللاتينية التي تشير إلى الطبقة العليا من الشعب في روما القديمة وقد شبهت بها طبقة الأدباء والشعراء الذين صعدوا بأدبهم وفنهم إلى منزلة رفيعة في

---

[1] . قاموس المصطلحات الأدبية ، ص : 71

المجتمع، ثم يضيف قائلا: "ومن ثم صارت كلمة "الكلاسيكي تدل على ما يحتذى من شعر رائع وأدب رفيع".[2]

ثم يقول أيضا: الكلاسيكية أدب عقلي يقصد الى الحقائق العامة لا الى حالات النفس الفردية". [3]

هناك قواعد لكتابة الأدب الكلاسيكي يرجع فضلها الى ماليرب. في القسم الأخير من حياته، وضع ماليرب لأدب الكتابة الكلاسيكية، وقبل بوالو بأكثر من نصف قرن، قواعد للكتابة، اعتبرت بمثابة النظرية الكاملة لهذا الأدب. وقوام هذه النظرية اثنتاعشرة نقطة، أعرضها كما يلي:

1. الكمال 2. البراءة من العيوب الشكلية 3. العمل الشريف الذي لا يدور حول المصاعب، بل يواجهها 4. التعبير الشعري عن الفكر العميق 5. المعاناة بدلا من الوحي 6. توازن الشعر والشاعر 7. تهذيب الشعر بالجهد الممكن 8. الابتعاد عن اللهجات الخاصة والتعبيرات السوقية 9. احترام القواعد النحوية وعدم الاخلال بها إلاعند الضرورة القصوى 10. التمتع بنغمية القافية الشعرية 11. عدم تضارب حروب المد 12. ملائمة التشبيهات للطبيعة.[4]

---

[2]. تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبش، ص:7

[3]. نفس المصدر، ص: 7

[4]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. يا سين الأيوبي ص: 36

ويقول تحت عنوان " الخصائص العامة للأدب الكلاسيكي" أن الأدب الكلاسيكي يتسم بالمميزات والخصائص التالية : مشاكلة الحياة واللياقة أو مراعاة المقام والدهشة بالأضافة إلى النزعة الأخلاقية والإنسانية والمغزى الخلقى والأسلوب الأدبي الرفيع".[5]

يتميز المذهب الكلاسيكي بغلبة الأسلوب على المعنى أو الشكل على المضمون، وايثار قيود الصنعة على حرية التعبير، وايثار التمسك بالعقل على طلاقة الشعور، وهو كما يقول أحد الأدباء: "مذهب يأمر وينهى يقول لك، افعل هذا ولا تفعل ذاك، أي انه يفرض على الأديب في صناعته قيودا ورسوما عليه أن يراعيها في عمله الأدبي، والا عد خارجا على أصول الكلاسيكية".

وينبغي هنا أن نضيف إلى ما ذكرنا بعض قواعد المذهب الكلاسيكي وخصائصه من وجهة نظر الدكتور محمد مندور التي لخصها صاحب الكتاب السالف الذكر، يقول:

"تحرص الكلاسيكية على جملة أشياء هامة تؤلف بمجموعها الهيكل الأدبي العام لأدب هذه المدرسة، وهي:

1. من الممكن إرجاع القواعد التي تقيد بها الكلاسيكيون، إلى أصل عقلي عام، تفرعت عنه كافة القواعد الأخرى. وهذاالأصل هو مشاكلة الحياة Lavarisemblance وذلك باعتبارأن المسرح مرآة الحياة.
2. جودة الصياغة اللغوية وفصاحة التعبير في غير تكلف ولازخرف وإذا كانت العبارة أحد أصول المذهب الكلاسيكي، فإن الوضوح أصلها الثاني.

---

[5]. نفس المصدر، ص: من 66 الى 77

3. تعتمد المدرسة الكلاسيكية على العقل الواعي المتزن الذي يكبح الغزائروالعواطف والذي يسطرعليها بادراك خفاياها وعملها الدفين، ومن دون الاتزان لايمكن للعقل أن يثمر.
4. إن العقل الذي تصورعنه الكلاسيكية ليس ذلك التفكيرالبارد الذي لايمكن أن يدخل في الأدب (أدب دون عاطفة = أدب بارد)، إنما هو عقل حاريلتقى فيها الخيال والتفكيروالإحساس في مزاج متزن يشيرإلى أن صاحبه كان يفكربقلبه ويحس بعقله ويدرك بخياله، وإلى اليوم لا يزال الفرنسيون يعتبرون جان راسين أروع مصور لعاطفة الحب على الرغم من ضوء العقل الذي يغمرالكلاسيكية.[6]

إن الكلاسيكية في الأدب العربي ظهرت في زمن متأخرشديدا والأجدر بالقول عندما انقضى زمنها في البلاد الأوروبية. فإننا نعرف أن الاحتكاك المباشربين الشرق والغرب بدأ من حملة نابليون سنة 1798م، وبعد ذلك، بعد مدة غير قليلة بدأت النهضة العربية الحديثة وكان الشعر من دون النثر هوالذي تأثر أولا بالنهضة وكان بارودي أول من تزعم حركة الكلاسيكية وذلك عن طريق رجوعه إلى احتذاء النماذج والمثل الأدبية الشائعة في أيام ازدهارالأدب العربي أي الدور الجاهلي والأموي والعباسي وتبعه في ذلك فيمابعد شعراء كثيرون واشتهر بينهم في الأدب المصري الحديث إلى جانب البارودي أمثال أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومصطفى صادق الرافعي واسماعيل صبري وعلى الجارم وأحمد محرم وغيرهم.

وعاش البارودي مابين(1838- 1904) وهومن رجال النصف الثاني للقرن التاسع عشر وقد سبق أن رأينا أن فترة الكلاسيكية تنتهي بحلول القرن التاسع عشر.

---

[6] A Dictionary of Literary Terms, J.A Cuddon p: 73, 74

أما أثرها في النثر وبوجه خاص، الرواية فإننا نعتقد أن رواية "حديث عيسى ابن هشام" وكذلك "ليالي سطيح" هما يمكن أن تأتيا في إطار الرواية الكلاسيكية من حيث احتذائها شكل المقامة القديم، ولكن هي رواية "زينب" التي تعتبر الرواية المصرية الأولى في معناها الفني وهي رومانسية اجتماعية النزعة وهي ظهرت كما تعرف في 1913م والأفضل أن لا نرجو مثل هذه الروايات من الكلاسيكية لأن الفن الروائي وهو مستورد من الغرب ظهر في وقت متأخر شديد في البلاد العربية

على أية حال، يمكنا القول بأنه توجد روايات في الأدب العربي مَا يمكن أن تنطبق عليه فكرة المدرسة الكلاسيكية. ولكن على أساس ما قدمنا نستطيع أن نقول أنه لم توجد رواية كلاسيكية في الأدب العربي.

وقد ساد الأدب "الكلاسيكي" بمعناه المذهبي التاريخي ردحا من الزمن وخلف روائع أدبية، ثم جدت شئون العصر وتغيراته وأوضاعه المتجددة ما جعله في القرن الثامن عشر يتخلى عن مكانه في الغرب لأدب مذهب جديد، هو المذهب الرومانسي.

الرومانسية

ومن الطبيعي أن يكون التعريف بالرومانسية باب الحديث عن الواقعية، لأن الرومانسية هي المذهب الفني الذي ساد قبل الواقعية.فالرومانسية هي حركة فكرية أدبية فنية نشأت في أواخر القرن الثامن عشر في أوربا وبالتحديد في فرنسا ثورة على المعايير الأرستقراطية والسياسية والاجتماعية، وهي كانت نتيجة لأحداث وتغييرات اجتماعية وسياسية وفكرية في فترات مختلفة ومن ينابيع متعددة.... وانطلقت من نفوس جائشة بالرفض والتمرد راغبة في التجديد، طامحة الى التجسيد ما تعانيه .

ومن العسير أن نعطى تعريفا قصيرا واحدا لهذالمذهب الأدبي المعقد الجوانب.

فقد ذكرإيف، ايل، لوكاز في "The Decline and fall of the Romantic ideal(1948)"11,396 تعريف للرومانسية. فالرومانسية نوع من المتاهة يضل فيها القارئ ويشقى، حتى يقول بول فاليري عن استخفافه بمن يحاولون تعريف هذه المدرسة، قائلا: " لابد من أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانطيقية".

ولكلمة "الرومانس" تاريخ ممتع فهي كلمة مشتقة من كلمة رومانيوس Romanius التي اطلقت على اللغات والآداب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة والتي تعتبر في القرون الوسطى لهجات عامية للغة روما القديمة أي اللاتينية : وتلك اللغات هي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية والبروفانسالية والرومانسية إحدى لهجات سويسرا". [7]

---

[7] . تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبش ، ص : 190

عرفها الناقد الألماني "شيلينغ" قائلا : " إنها الفن الذي يكشف في صور، وبواسطة الحدس الفني، الأفكار المطلقة الكامنة في أساس الواقع، والقادر بشكل أعمق، من العقل الإنساني المحدود، على اكتشاف ومعرفة العالم المحيط بنا".

أما فيكتور هيجو، عام 1830م، وفي مقدمة مسرحيته (هرناني) فقد عرف الرومنطيقية بكلمتين: إنها "ليبرالية الأدب".

وعرفها الشاعر(سوميه Soumet) "بأنها الأدب الذي تغلغل عمقا في أسرار قلوبنا، من خلال عبقرية الانفعالات التي يمتلكها الأدباء".

ثم عرفها الناقد الألماني "أ.و. شليجل" (1767-1845) بأن الرومانطيقية هي وحدة المتناقضات كما يفيد بذلك قوله التالي: "الذهنية الرومنسية معجبة باستمراربتقريب المتنقضات: الفن والطبيعة،الشعروالنثر،الجدوالهزل،الذكرى والهاجس، الأفكارالمجردة والمشاعرالحارة،الإلهي والأرضي،الحياة والموت تتجمع كلها وتنصهرفي بوتقة الأدب الرومانطيقي.

ومن أحسن التعريفات العامة التي تصح على الأدب الرومانطيقي بصورة عامة،ماأوضحه،الروائي الرومانطيقي ستندال(1783-1842) في كتابه النقدي"بين شكسبيروراسين": الرومانطيقية هي فن تقديم الأعمال الأدبية إلى الجمهور الذي يتقبلها بالسرورالممكن،إنطلاقا من تقاليده ومعتقداته الحاضرة..... وللحق نقول، كل الكتاب الكباركانوا رومانطيقيين في زمانهم. وما يجعل الناس كلاسيكيين هو أنهم، بعد مائة سنة بدلامن تقليد الطبيعة، يغلقون أعينهم، ويقلدون آثارالكتاب الذين سبقوهم.

أما الدكتور محمد غنيمي هلال، فقد شرح الإطار العام للأدب الرومانطيقي، قائلا:"إن الأدب الرومنتيكي صورة صادقة للاتجاهات الثورية والوطنية. وقدعبرعن آمال ذلك

المجتمع، في أدب فيه الحميا الفنية والثورة الفكرية والضيق بالواقع، ونشدان السعادة في عالم الأحزان، وللرومانتيكية روح عامة، تسيطرعلى الكاتب الرومنتيكي وآرائه".[8]

يشير صاحب قاموس المصطلحات الأدبية إلى الرومانسية ويقول فالمراد منها،بصفة عامة حالة نفسية أهم خصائصها زيادة الحساسية وعدم القناعة بما يميله العقل والحكمة ويندرج تحت هذاالمعنى أزمات الإرادة والقلق والافراط في الاهتمام بالذات وحدة الانفعالات والرغبة في الهروب من الواقع الحاضر.....

للرومانتيكية معنى متداول عام هوتغليب الحساسية المرهفة في الحكمة والعقلانية كما أن لها معنى مستهجنا هوالشذوذ وثورة الخيال والعاطفية المفرطة".[9]

وقد تميز المذهب الرومانسي بالاعتداد بالعاطفة والإحساس وإعلاء ذلك على العقل والمنطق والحكمة، كما تمير بالثورة على أوضاع المجتمع ومناصرة حرية الفكر، والنزوع إلى خوارق الطبيعة وأعاجيبها، والجنوح إلى حياة الفطرة كرفض للحياة الصناعية المعقدة وضغوطها على الفرد.

يعتبربصفة عامة أن فريدريك شيليجل هو أول من وضع اصطلاح Romantic في السياق الأدبي. غير أنه لم يكن لديه واضحا عما كان يعنى منه وأن ما يقوله أن الرومانسية تصورالأمور العاطفية في شكل خيالي هو في ذاته مبهم غير واضح. وتبدو أن ما دام استائيل التي كانت تعرف شيليجيل، هي أنها المسئولة عن إشاعة اصطلاح الرومانتيكية في الأوساط الأدبية في فرنسا".[10]

---

[8] . مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. يلسين الأيوبي ، ص: 192-193

[9]. قاموس المصطلحات الأدبية : ص: 488

[10]. A Dictionary of Literary Terms, J.A Cuddon, P: 574-575 –

ويرى كثيرون أنها هي إنجلترا حيث بدأت الرومانسية كنزعة أدبية ومهما كان الأمر، ففي وقت مبكر، في بداية القرن الثامن عشر يمكن أن نتبين تغيراملموسا في الشعوروالرؤية بخصوص ما يتعلق بالنظام الطبيعي والطبيعة، فعلى سبيل المثال عند ما نقرأ كيتس وكولرج ورثوورث، نحن نشعر تدريجيا بأن كثيرا من عواطفهم واستجاباتهم وخواطرهم عليها طابع ما يمكن أن يوصف "بالشعور ما قبل الرومانسية".[11]

ومرة أخرى نجد في حالة " الرومانسية" أن الشعراء هم أول من تأثروا بالنزعة الرومانسية في أدبهم كذلك نرى أن النزعة تحل في هذه البلاد في وقت يبدو أن أيامها المجيدة قد انتهت بالفعل في مراكزها أو مهودها. لأن الاحتكاك أثره بطئ، إن تعرف العرب وإطلاعهم على المظاهر الأدبية الغربية الحديثة ثم هضمهم واستيعابهم لها والتأثر بها وبعد ذلك تعبيرهم عن هذه الانطباعات والتأثر يستغرق وقتا كثيرا. فهذا هو خليل مطران شاعرالقطرين وشاعر الأقطارالعربية الذي يعتبر أول من فتح باب الأدب العربي للرومانسية، وخلفه بعده أصحاب مدرسة الديوان، العقاد والمازني وشكري الذين فتحواالباب على مصراعيه للرومانسية وكذلك جماعة أبولو التي تفيأ ظلالها شعراء ذووأهواء ونزعات أدبية مختلفة من تقليد وتجديدية مثل أحمد زكي أبو شادي. وكان مطران دعا الى التجديد في الشعرالعربي عام 1905م ومما لاشك فيه أن الرومانسية كانت في البلاد الغربية في مراحلها الأخيرة لأن النزعة الواقعية كانت بدأت تطرق الأبواب وتبشر بنهاية زمن الخيال والوهم والموسيقى والدغدغة والرومانس ليواجه الإنسان حقائق الحياة المرة بدلا من أن يكون في قوقعة من نسيج خياله يلهو ويلعب.

أما تأثير الرومانسية في الرواية العربية لو ألقينا نظرة عابرة على تاريخها وجدنا أن الروايات العربية المترجمة قبل أن يقوم بناء الرواية الفنية القوى من نوع الرواية

---

[11]. نفس المصدر، ص :575

الرومانسية، كذلك الروايات التي ألفت في تلك الفترة أي فترة ما قبل "زينب" كانت ذانزعة رومانسية وجدت أرضا خصبة في يأس الشبان وخيبتهم في الحياة تحت الاحتلال الأجنبي فصادفت هواهم وشاعت بينهم.

قدم جرجي زيدان أكثر من عشرين رواية كلها تاريخية المادة رومانسية النزعة وتعليمية الطبيعة. وهذا ما نجده قبل ظهورالرواية الفنية "زينب" أما زينب فهي ذات نزعة رومانسية، وظهر بعد هيكل روائيون قدموا روايات ذات النزعات الرومانسية. فرواية "نداء المجهول" لمحمود تيمور أو "رادوبيس" لنجيب محفوظ ومعظم روايات احسان عبدالقدوس ويوسف السباعي وعبدالحليم عبدالله تعتبررومانسية ولكننا نلاحظ في هذه الفترة أن نزعات أدبية مختلفة تمشى جنبا إلى جنب وفي تسارع وتدافع كبيرين ويحاول بعضها مغالبة البعض.

الواقعية

وفي الوقت الذي كان فيه الأدب الرومانسي يسرف في التعبير عن نزعته الفردية، ويحلق في سماء الخيال ويحمل قراءه معه، كان العلم يتقدم ويسترعي الاهتمام بكشوفه وفتوحاته، ويؤسس نفسه على دعائم من التجربة والتحري والتحليل والتطبيق، ويسعى بما توصل إليه من نتائج وقوانين علمية لإدراك طبائع الأشياء وإثبات حقائق الكون. وبذلك أخذت المسافة تتباعد بين الأدب والعلم: الأدب يحلق في السماء بأجنحة الخيال بعيدا عن الواقع، والعلم يعيش على الأرض مع الواقع والحقيقة، ويسخركل إمكانياته في تغيير وجه الحياة وتبديل مواقف الناس منها ونظراتهم إليها.

وهكذا وجد رجال الفكر أنفسهم خلال القرن التاسع عشر أمام ذلك الواقع العلمي القوي، فلم يسعهم إلا أن يؤمنوا به، فيتخلوا عن انطوائهم وعزلتهم، ويهبطوا من سماء الخيال إلى الأرض في محاولة للتعايش مع الواقع الذي بدأ يدب ويتحرك على سطحها. ومن ثم نشأ المذهب الواقعي على أسس وطيدة من الإيمان بالعلم في تجاربه وحقائقه وتطبيقاته، ومن تقدير للظواهر الاجتماعية والإنسانية التي تراها العيون في المجتمع الإنساني. ومن المعلوم إن مصطلح الواقعية من المصطلحات المطاطة والفضفاضة التي تختلف مفاهيمها باختلاف ميادين النشاط الانساني من جهة، وباختلاف اتجاهات النقاد والأدباء ومنظري الأدب من جهة أخرى. ففي الأدب، الواقعية تنوعت تعريفاته وتتعدى دلالته.

فهذا هو أحمد قبش يقول عن لفظة "Realism" ولا نكاد نعرف لفظا أو اصطلاحا حديثا في اللغة العربية قد اضطربت دلالته وتنوعت مفاهيمه، مثل لفظة الواقعية التي ترجمت بها لفظة ريالزم Realisme الأوروبية. وكل ذلك بسبب الأصل الاشتقاقي للكلمة وهو لفظة "واقع". ثم يسترسل قائلا فهي تدل أحيانا على الأدب الذي يستقي مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكلها فهو ضد أدب أرستقراطية الفكر والخيال. ويقصدون به أحيانا الأدب الموضوعي، وكأن واقع النفس الفردية لا يصلح مادة للأدب

الواقعي وهذا يقودنا إلى المفهوم الاشتراكي للأدب حيث يقصد من هذه الواقعية أن يتناول الأدب مشاكل المجتمع ومظاهر البؤس والفاقة التي تزرح تحتها طبقات الشعب العاملة.[12]

فهذا هو مذهب موضوعي غير ذاتي يدعوإلى تسجيل الملاحظات والمشاهدات من غير أن يلونها الأديب أو الكاتب بأحاسيسه وعواطفه الخاصة، مع رعاية تامة للموضوعية الخالصة، واستيعاب دقيق لما في الحادثة أو المشهد أو الشخصية من معالم خاصة و تفاصيل وافية، ومع التزام نزيه لموقف الحياة أمام الحياة والأحياء. وقدركز هذاالمذهب جل اهتمامه على وصف المجتمع الإنساني وإبرازه على حقيقته في أمانة وصدق، وفي بعد عن الهوى الشخصي، فهو يضع التحليل موضع التحليل، يحل المنظور محل الموهوم، ويعلي الواقع المحسوس والطبيعة الظاهرة على سبحات الخيال وجواذب العاطفة والوجدان.

وأحيانا يقصد من هذاالمصطلح ملاحظة الواقع وتسجيل تفاصيله وتصويره تصويرا فوتوغرافيا حرفيا، وإبعاد عناصرالخيال المجنح وتهاويله، ويقصد به أحيانا أخرى الحيادية أو الموضوعية الصارمة التي تمنع تسرب أفكارالكاتب وعواطفه ومزاجه الذاتي إلى أعماله الأدبية.

ويرى بعضهم أن الواقعية هي تلك التي لا تهتم إلا بمشكلات المجمتع وحياة الشعب، بينما يرى آخرون أن الواقعية تتسع لكل الآثار الأدبية تقريبا كما يذهب "روجي جارودي" في كتابه "واقعية بلا ضفاف" أو "أونولدكيتل" في كتابه "مدخل إلى الرواية الإنجليزية". وكان زولا يرى كذلك أن الأدب الواقعي هو الذي يصور الواقع الثابت ويشخص أمراض الجماعة، ويكشف عن العلل الكامنة وراء الظواهر التي تخضع لسلطان العلم، وأنه لا

---

[12]. تاريخ الشعر العربي الحديث ، أحمد قبش ، ص : 386

ينبغي للأديب أن يقحم عواطفه الشخصية الا في الظواهر التي لم يهتد الى تعليلها. ونرى في هذه المبادئ ثورتها على الرومانسية من حيث تنحية العواطف الشخصية وتضاؤلها أمام العلم، فقد كانت الواقعية ثورة على الاطلاق العاطفي الرومانسي، ولكنها كانت مبالغة في التقليل من شأن العواطف الشخصية، وفي الاتجاه الى العلم.

ويمكن أن يستخرج من هذه الفوضى والاضطراب أن الواقعية هي كل فن يحاول أن يمثل الأشياء بأقرب صورة لها في العالم الخارجي أو " أن الواقعية معناها في الأدب هو بصفة أساسية تصوير الحياة بكل صدق وأمانة فهي لا تهتم بالمثالية بحيث أن يتم تقديم أشياء في صور جميلة مع أنها دميمة غير جميلة أو يجرى عرضها في شكل لا يمت بالواقع بصلة، كذلك لا تعنى الواقعية بتقديم أمور غير عادية أو ما هو خارج نطاق التجربة والوجود..... بالمجموع يمكن الاستنتاج أن الواقعية هي كل مايتعلق بالحياة اليومية والعادية والعملية". [13]

ويذكر صاحب القاموس السالف الذكر أنه قد جرى استخدام مصطلح الواقعية حوالي 1826م وكان المراد منه وجهة نظر أو نظرية تقول أن الواقعية نسخة للطبيعة وتقدم لنا أدب الصدق، الواقعية ترفض الكلاسيكية والرومانسية ونظرية الفن للفن.....

ومن الواضح أن الواقعي "يرى أن على الفنان أن يهتم بالموجود والحاضروالشئون العادية العامة، ببيئته والظروف المحيطة بها (من سياسية واجتماعية وغيرها) والأوضاع التي تسود زمنه، كذلك ركزت الحركات المضادة للرومانسية في ألمانيا عنايتها على حياة عامة الناس وتصوير الحياة بكافة مزاياها وخصائصها وبصورة عامة نستطيع أن نتبين

---

[13] A Dictionary of Literary Terms. J.A Cuddon , P : 311

من خلال أعمال بلزاك وديكينز على سبيل المثال نوع الاتجاه الذي كان أن تتخذه النظرية الواقعية في المستقبل. [14]

ويقدم صاحب "مذاهب الأدب معالم وانعكاسات" تعريف الواقعية على هذاالنمط:" فالواقعية الأدبية بمعناها العام الواسع، هي كل ما يمتاز به الأدب من تصوير دقيق للطبيعة والإنسان،مع العناية الكبيرة بالتفصيل المشتركة للحياة اليومية.[15]

ويرى الدكتور محمد مندور أن مصطلح "الواقعية" محدد في الغرب، لم ينزل به الاضطراب، ولم يمح حدوده المعنى الاشتقاقي الأصل الذي يعود إلى لفظة الواقع، على العكس مما عندنا نحن العرب، والحقيقة أن هناك اضطرابا كبيرا في مفهوم هذاالمصطلح، ليس عند العرب فحسب، ولكن عند الغربيين أيضا، فليس من شك في أن مفهوم "الواقعية" في نظر "إيميل زولا" أو "فلوبير" يختلف تماما من مفهومها عند "جوركي" أو"فيشر" أو"جورج لوكاتش".

يذكر أحمد قبش مفهوم الواقعية عند الغرب ويقول:"أما في الأدب الغربي فمعنى الواقعية يختلف تماما، لأن الواقعية عندهم "الأدب الذي ينظر إلى الحياة على أنها شروروبال ومحنة بينما تراها المثالية خيرا وسعادة ونعمة. إن الواقعية تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسراره وإظهارخفاياه وتفسيره. ولكنها ترى أن الواقع العميق شر في جوهره وأن ما يبدو خيرا ليس في حقيقته إلا بريقا كاذبا أو قشرة ظاهرية، فالشجاعة والاستهانة بالموت سببها اليأس من الحياة والكرم أثرة سببها المباهاة. والمجد والخلود تكالب على الحياة وإيهام للنفس بدامها أو استمرارها، وكذا الأمر في كافة القيم المثالية التي نسميها قيما خيرة.

---

[14] A Dictionary of Literary Terms. J.A Cuddon , P :543,544

[15]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، الدكتور ياسين الأيوبي، ص :310

وهكذا يتضح أن الواقعية ليست الأخذ عن واقع الحياة وتصويره بخيره وشره كالآلة المصورة، كما أنها ليست معالجة لمشاكل المجتمع ومحاولة حلها أو التوجيه نحو الحل، كما أنها ليست ضد أدب الخيال أو الأبراج العاجية وإنما هي فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء وتفسيرهما. إنها وجهة نظر خاصة ترى الحياة من خلال منظارأسود وترى أن الشرهو الأصل وأن التشاؤم والحذر هما الأجدر ببنى البشر لا المثالية والتفاؤل.[16]

ويذكر الدكتور ياسين الأيوبي..... نقلا عن الدكتور مندور أن الواقعية لا تبشر بشئ، ولا تدعو إلى سلوك خاص في الحياة . كل هذا بعيد عن طبيعتها، وإنما ينصب همها على فهم واع للحياة وتفسيره على النحو الذي تراه ، وهو فهم وتفسير، قد ينتج عنهما الخير، وقدينتج الشر:

"فالخيريأتي بالتبصير بالواقع، حتى لا يقع الأخبار فريسة للأشرار،أو حتى لا تقود هم المثالية الساذجة إلى الفشل في الحياة والتردى في مآزقها،كما أنها قد تنفر من قبح هذاالواقع وتدفع إلى إصلاحه. أماالشر فقد يأتي من التشكيك في القيم المثالية، وهي قيم، إن لم تكن حقائق واقعة، فهي ضرورات خيرة، لا بد منها لكي تستقيم حياة الفرد وحياة المجموع ولكي لا ترتد الإنسانية إلى الهمجية الأولى أو إلى الوحشية الفطرية.[17]

وكانت هي فرنسا حيث نشأت نزعة الواقعية حوالي 1830م وازدهرت في الخمسينيات وأصبحت في النصف الأخير نزعة ملموسة محددة في الأدب الأوربي وكان من كبار ممثلى هذه النزعة زولا وبلزاك وموباسان وديكنز وجوستاف فلوبير والأخوان أدمون وجيل دوكونور وألسكندردوماس الابن وغيرهم.وفي عام 1833م استخدم هذاالمصطلح

---

[16]. تاريخ الشعرالعربي الحديث، أحمد قبش ، ص : 387

[17]. نفس المصدر، ص :315

TH23057

الناقد الفرنسي هذاالمصطلح جوستاف بلانش "Gustave Blanch" الذي كان معروفا بعدائه للرومانتيكية، وان كان قد لوحظ أن الواقعية عنده كانت لا تزال ترادف المادية وتعنى الوصف الدقيق للملابس والعادات، خاصة في القصص التاريخي لمطابقة العصر الذي تدور فيه أحداثها فهو يؤكد أن "الواقعية تعنى بتحديد الترس الحربي المعلق على باب القلعة والشعار المنقوش عليه، وماهي الألوان التي يدافع الفارس عنها قبل أن يسقط صريع الحب"، وعلى هذا فليست الواقعية عنده سوى مجرد اللون المحلى المميز والوصف الطبيعي الدقيق، وبذلك لا تتعدى في تلك المرحلة أن تكون خاصية يمكن أن نراها بوضوح في منهج بعض الكتاب الذين يوصفون اليوم بالرومانتيكية مثل "وولترسكوت" أو"فيكتورهوجو".

ولكن الكاتب الذي اعتبر بحق أبا "الواقعية" في فرنسا وربما في القرن التاسع عشر كله، هو "بلزاك" الذي كتب بأسلوبه المميز بالغرابة والتعقيد والتشويش كما يقول بودليرأكثرمن تسعين رواية، يصف فيها المجتمع الفرنسي بمختلف الأساليب الفكرية ما بين تحليل ونقد وعرض ودراسة. وعلى رأس أعماله: "الكوميديا الإنسانية" التي صدرت ما بين 1829و1848م وهي في ثلاثة أقسام: القسم الأول دراسة لعادات- Moeurs- المجتمع الفرنسي بعد الثورة الفرنسية وعقب هزيمة نابليون، والثاني عرض فلسفي معلل لمظاهر هذاالمجتمع، والثالث تحليل أدبي للقوانين التي تنظم حياة المجتمع. [18]

ويذكر الناقد الفرنسي "فان تيجم" أن معنى لفظة "الواقعية" بوصفها مصطلحا أدبيا لم تتحدد إلا من خلال الخصومة الحادة التي نشبت بين "شامفلوري" وبعض نقاد الفنون التشكيلية. وذلك حين نشر"شامفلوري" مجموعة من مقالات أدبية أطلق عليها اسم "الواقعية" ثم أصدر بمساعدة أحد أصدقائه مجلة أطلق عليها الاسم نفسه عام 1843م.

---

[18]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، الدكتور ياسين الأيوبي، ص :311

وقد تبلورت المبادئ الأولى للواقعية في الكتابات النقدية، وأهمها أن الفن ينبغي أن يقدم تمثيلا دقيقا للعالم الواقعي، ولهذا يجب أن يدرس الحياة والعادات من خلال الملاحظة الدقيقة والتحليل المرهف، وينبغي أن يؤدي هذه الوظيفة بطريقة موضوعية خالية من العواطف والنزعات الشخصية، ومن هنا فعلى الروائي أن يدرس قبل أي شئ مظهر الأشخاص ويسألهم ويمحص أجوبتهم ويتعرف على مساكنهم ويستجوب جيرانهم ثم يدون بعد ذلك حججه واضعا حدالتدخل خياله إلى أقصى درجة ممكنة، فيكون مثله الأعلى نوعا من اختزال مقاصد شخصياته وسلسلة من الصور لمظاهرهم المتنوعة، وحيث أن الملاحظة الدقيقة هي عمل الروائيين الأساسي فقد زال الهوى والوهم.[19]

وبعد عرض تعريفات عديدة للواقعية، يمكن لنا القول لايمكن لأي تعريف قاطع للواقعية أن يلملم جميع أطرافها، ولهذا لابد من ملاحظة السياق الذي ترد فيه، يقول "كارل مانهايم" ان الواقعية تعنى أشياء مختلفة في سياقات مختلفة. ويشير "بيند يتوكروتشيه" الى أن مصطلح الواقعية بينما يستخدمه بعض النقاد لامتداح عمل ما يستخدمه آخرون كنقد واستهجان له، وأن ما كان غذاء عند "زولا" تحول إلى سم عند "برونتيير". ونتيجة لذلك يخلص بعض النقاد المحدثين الى أن كل قصة انما هي واقعية في بعض ظواهرها وغير واقعية في بعض الآخر، ويجب على النقد أن يقتصر على تقييم نسبة الواقعية في كل عمل بمقارنة ما أجهد الكاتب نفسه في عرضه بما يمكن أن نراه بالفعل قد تحقق في هذاالعرض، غير أن هذا المعيار النسبي سيكتسب كثيرا من الموضوعية والدقة عند ما ندعمه بالأسس الجمالية للواقعية.

على أية حال، الواقعية مصطلح فني مذهبي، تختلف عن المذاهب الأدبية الكبرى مثلا الكلاسيكية التي قامت على أساس التأويل الأوربي للمبادئ الفلسفية والفنية الاغريقية في

---

[19]. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، د. صلاح فضل، ص: 13-14

مرحلة محددة من تطور الفكرالغربي فقدت بمرورها مبررات وجودها وأصبحت غير قابلة للاستزراع في تربة أخرى. وكذلك الرومانتيكية التي لم تكن سوى تعبير حادعن تأزم المشكلة الفردية في ظل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأوربا الغربية في القرن الماضي، والرغبة في التحرر من القيود الكلاسيكية التي كانت قد أرهقت روح الابداع الفني بشروطها المتعسفة، وهي ظروف قد نجد مثيلا لها في سياق التطورالتاريخي للشعوب الأخرى، الاأنه يظل تشابها جزئيا ومرحليا لا يتجاوز السطح الملموس ولا يتعدى مجرد التقليد في التشخيص، وبهذا لا يبقى من الرومانتيكية سوى العدوى والمزاج.

أما الواقعية فانها اعتمادا على مبدئها الأساسي في الانعكاس والموضوعي وتمثل الأدب للواقع- أيا كان موقعه وزمانه- فانها تتجاوز جميع الحدود الاقليمية والتاريخية، ويصبح في مقدورأي مجتمع اختمرت فيه مبادئها الجمالية أن يرى نفسه في مرآتها بطريقة صافية مركزة، وتصبح المجتمعات التي مازال ضميرها القومي في مرحلة النضج والابتعاث، والتي تقف مثلنا في مفترق الطرق تبحث عن جوهرها شخصيتها وتستشرف الملامح العامة لمستقبلها وسط التيارات العاتية هي أحوج ما تكون لمواجهة النفس بشجاعة ومعرفة الأمر الواقع بعمق، والوعي بالعوامل الفعالة لوجودها التاريخي المحدد، ولن تجد مركبة تمخربها هذاالعباب سوى مبادئ الواقعية.

الاتجاهات الواقعية

الواقعية النقدية

وهي تسمى أيضا بالواقعية الأوروبية لانطلاقها في خطوطها العامة وآثارها النموذجية من أوربا كما تمييزا لها عن الواقعية الاشتراكية التي لم تقف عند حدود الانتقاد الاجتماعي وحسب، كما هي حقيقة الواقعية الأوروبية، بل تخطته إلى رسم الصورة المشرقة التي ينبغي للمجتمع أن يحققها، معالجة بذلك فساد المجتمع ومتصدية لكل انحراف فيه.

أما صاحب كتاب تاريخ الشعرالعربي الحديث، د. أحمد قبش فهو يسمى الواقعية النقدية بتسمية الواقعية البورجوازية فيقول: " أما الواقعية النقدية وهي أيضا تسمى بالواقعية البورجوازية وهي تصدر عن إيمانها بشرية الواقع فهي متجهة عابسة متشائمة لا تؤمن بصدى المقولات المثالية ولا بمحاولات ادعاء الشرف وتقف من الحياة موقفا غير سليم وغير واع. موقف فيه كثيرمن السخرية والاحتقار والازدراء واليأس وقليل من الأمل. الأمل في الإصلاح. "هو بمثابة احتجاج على الواقع الذي يكتنفها. وهي من هذه الناحية يمكن أن تعد ثورية.[20]

الواقعية النقدية قد ولدت بسبب أوضاع المجتمع الصناعي الأوروبي في منتصف القرن التاسع عشر، لأنها كانت تحول تبلور فكري ثوري جماهيري مؤثرفي الفنون والآداب. فاكتفت الواقعية وقتها برصد التناقضات الاجتماعية والكشف عن خبايا الأزمات الكبرى التي كانت تعصف بأوربا. وقد تحرى الأديب الواقعي النقدي الصدق في وصفه لحركة

---

[20]. تاريخ الشعرالعربي الحديث، أحمد قبش، ص : 497

التطور الاجتماعي. ويعد هذاالموقف وقتها موقفا إيجابيا، لأنه رفض الصمت والانصياع للإيديولوجية البورجوازية وآثر تعرية الواقع ووصفه كما هوبكل موضوعية وبكل جرأة.

يعد الروائي الفرنسي بلزاك، أشهر ممثل للواقعية النقدية، ويرى لوكاتش أن بلزاك، رغم انتماءاته السياسية البورجوازية، ورغم تعاطفه مع الملكية، إلا أن كتاباته تعكس إيديولوجية تقدمية وتحررية ذلك، أنه يجب أن نفرق بين إيديولوجية الكاتب بوصفه مواصفا وإنسانا وإيديولوجية كتاباته التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسيج الدلالات.

والواقعية النقدية تقرر أن مهمة الفن والأدب تتمثل في نقد الحياة بمفهومها الواسع، والمتأمل في هذاالصنف من الإبداعات يلمس فيها التأكيد على الدلالة الاجتماعية بالمفهوم الإنساني الواسع للكلمة، وليس بالمفهوم العلمي لماركس، كما يلمس اهتماما كبيرا بالقييم الجمالية والفنية.[21]

قد يصور كتاب الواقعية النقدية الجانب المظلم من الحياة، الحياة التي تسود عليها فلسفة سوداوية، ولذا غلبت على رؤيتهم مسحة من التشاؤم من جراء ما كانوا يرونه من فساد اجتماعي وأخلاقي في عصرهم. وليس من شك في أن الواقعية النقدية ركزت عنايتها على جوانب الشر في النفس الإنسانية كما يشير اليه دكتور ياسين الأيوبي " عرضت الواقعية الأوروبية لجوانب الشر في النفس الانسانية، فصورت المجتمعات والنفوس المترفة، فريسة للفساد وللغرائزالحيوانية التي تنمو في ظل المجتمعات المهددة بتغيير في نظمها، انتظارا لما يعوزها من إصلاح تستقر به أوضاعها". [22]

---

[21]. نقد الرواية في الأدب الحديث في مصر، أحمد ابراهيم الهواري، ص :

[22]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ، ص : 331

ومن الملاحظ أن الواقعية النقدية اهتمت بالنثر، وخاصة الرواية والمسرحية والقصة القصيرة ، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى أن النثر ألصق بالحياة الاجتماعية وقضاياها من الشعر، تلك الحياة التي اتخذتها الواقعية ميدانا خصبالها.

فكانت واقعية اجتماعية صرفة، لم يتكلف فيها تطبيق النظريات العلمية والرؤى الفلسفية الجاهزة، وإنما قامت على النقد البناء والتحليل الواقعي للبيئة والشخوص.

بفضل بلزاك تحررت الرواية من الخيال الجامح والذاتية المفرطة وكان يتصور أن رسالته هي شهادة على عصره وتوثيق له، إذ يعتقد أن المجتمع الفرنسي هو المؤرخ، وأما هو فليس إلا مجرد سكرتيرله. وهذا يدعم مقولة تان من أن أعمال بلزاك تتضمن أعظم قدر من الوثائق التي توفرت لنا من الطبيعة البشرية، ويصدق عليه ما أراده لنفسه من أن يكون دكتور في الطب الاجتماعي.[23]

ونستطيع أن نجمل أهم ميزات الواقعية النقدية فيما يلي:

1. تمتاز الواقعية النقدية بالنزعة التشاؤمية في رؤية الحياة والبشر المعاصرين. فالواقعيون الذين يمثلون هذاالمذهب يصدرون في آرائهم عن فلسفة سوداوية إلى حد بعيد. إن الإنسان بالنسبة إليهم ذئب ضار لأخيه الإنسان.أما ما يبدو عليه أحيانا من وداعة، وما يتصف به من نبل وأخلاق سامية فقشور ظاهري لا غير، وبريق خادع كالسراب، أي أن الشجاعة وعدم المبالاة بالموت إلى حد التهور، تعد في رايهم يأسا وهروبا من الحياة، والكرم في حقيقته أثرة تأخذ مظهر المباهاة، والجد والخلود تكالب على الحياة وإيهام للنفس بدوامها واستمرارها، وهكذا الأمر في كافة القيم المثالية.

---

[23]. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دكتور صلاح، ص : 16

2. أنها هجائية ناقمة على الأوضاع الاجتماعية والظروف التي نشأت فيها، وقد صب الأدباء الذين ينتمون إلى هذاالمذهب جام غضبهم وانتقاداتهم خاصة على الطبقة الوسطى التي كان يدافع عنها أسلافهم الرومانتيكيون من قبل، وذلك لأن هذه الطبقة كانت مهضومة الحقوق في عهد الرومانتيكيين ومضطهدة من طبقة الإقطاعيين والنبلاء. ولكن هذه الطبقة الوسطى التي ساعد أدب الرومانتيكيين على صعودها وتمكنها من التغلب على خصومها لم تلبث أن أصبحت متنكرة لمبادئ العدل والمساواة والإخاء، ومشكلة لطبقة أرستوقراطية طاغية جديدة، وهذا ما جعل الواقعيين النقديين يناصبونها العداء ويزيحون اللثام عن بشاعتها وآفاتها وأمراضها التي استفحلت. ولعل أخطر هذه الأمراض ذلك المرض الذي أصاب العلاقات الإنسانية الحميمة وأوشك أن يقضى عليها قضاء لا هوادة فيه. وقد اهتم الواقعييون النقديون بتصوير أعراض هذاالمرض في إنتاجهم اهتماما كبيرا، وخاصة "بالزاك" و "جي دي موباسان" و"دوستويفسكي".

3. الواقعية النقدية لا تدعو إلى فلسفة أو أيديولوجية معينة، كما سنرى عند الواقعيين الاشتراكيين على المثال، كما أنها لا تعطى حلولا للمشكلات التي تطرحها، بل نكتفي بعرضها وتحليلها.إنها تصف الداء ولا تعطي الدواء بتعبير آخر. إن الذي يمكن أن يجمع بين كتاب الواقعية النقدية في هذاالمجال هو موقفهم الإجمالي من الظلم والاستغلال وفساد الصلات الإنسانية والإجتماعية، ورفضهم للآفات والشرورالتي كانت تعانى منها مجتمعاتهم. إنهم متقاربون في منطلقاتهم الفكرية العامة ورفضهم لنظام القنانة، وهضم حقوق الآخرين وامتهانهم، ومن حيث ميلهم إلى الدفاع عن الحرية، والمساواة، والإخاء، والتقدم. أما غير ذلك فإننا نجدهم يشتركون في الدعوة إلى الأفكار أو المبادئ المعينة العملية المتفق على أسلوب تطبيقها في الحياة.

ويخطئ بعض النقاد فيعتقدون بأن هناك أهدافا مذهبية محددة ومعلومة الأركان، إن الواقعية النقدية في الحقيقة أقرب إلى المنهج الأدبي منها إلى الاتجاه الفكري الصريح في دعوته، والواضح في عقيدته. هذا بغض النظر، طبعا عن النزعة النقدية التي فصلنا فيها القول.

4. أنها تعني بالنمذجة، وهذا خلافا لما يراه بعض النقاد من أن هذاالمذهب لا يقدم نماذج أو أنماطا بل يقدم أفرادا. ويقصد بالنمذجة عملية تصوير الكاتب لشخصية تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو من العواطف المختلفة التي كانت من قبل في عالم التجريد، أو متفرقة في مختلف الأشخاص، بطريقة تجعلها حية وكأنهامن خلق الطبيعة.

وهناك أنواع كثيرة للنماذج الأدبية، يذكر منها الدكتور محمد غنيمي هلال ما يلي:

أ- النماذج الإنسانية العامة. وتؤخذ من طبائع البشر الثابتة فيهم، مثل الحب، والكراهية، والغيرة وما إلى ذلك. والكاتب هنا يحاكي صفات كائنة في الإنسان من حيث هو إنسان، ويجسد تلك الصفات في شخصية تستقطب خصائصها، ومثال ذلك نموذج البخيل، ونموذج الشخص الآثم الذي يكفر عن إثمه بالإخلاص في الحب، ومالى ذلك.

ب- النماذج البشرية التي يعتمد الكاتب في رسمها على الأساطير. فهو إذن يحاكي مادة موجودة من قبل. وهناك أمثلة جمة على هذاالنوع، كنموذج "أوديب" الذي حاكاه "سوفوكل" وجسد فيه البحث عن الحقيقة، وصراع الإنسان مع القدر. وتوفيق الحكيم في مسرحيته "الملك أوديب" الذي أراد أن يصبح أوديب مسلما على يده، ولكنه أخفق حين جعله يحاول أن يقنع أمه "جوكاستا" بإمكانية استمرار العلاقة بينهما برغم أنه كان يعلم أنها أمه. وما يقال في "أوديب" يقال أيضافي نموذج "بجماليون" التي عالج فيها قضية الصراع بين الرجل العالم العبقري الذي يريد أن

يحلق في السماء، وبين المرأة التي تمقت علمه وعبقريته وتشده إلى الأرض. وقد حاكاه توفيق الحكيم أيضا في مسرحيته التي يصور فيها الصراع بين الأنثى والفنان الخالق، أو الصراع بين الفن والحياة.

ت- النماذج البشرية التي تؤخذ من مصادر دينية، كالقرآن، والتوراة، والإنجيل مثل نموذج "يوسف وزليخا" ونموذج "الشيطان".

ث- النماذج ذات المصدر الفولكلوري، مثل نموذج "شهريار" الذي وردت سيرته في "ألف ليلة وليلة" . وقد تناوله توفيق الحكيم في مسرحيته "شهرزاد" التي يصور فيها نموذج الرجل الذي انسلخ عن إنسانيته، كي يعيش من أجل البحث عن المعرفة. كما تناوله "عزيزأباظة" في مسرحيته "شهريار" . ومثل آخرنموذج "دون جوان" الذي نشأ في الفلوكلور الاسباني أولا ثم تناوله عدة كتاب من بينهم "موليير" وكذلك "سيجفريد" في الفولكلور الألماني الذي عالج موضوعه الكاتب الفرنسي "جان جيرودو".

ج-النماذج البشرية المأخوذة من التاريخ، من مثل شخصية "كليوباترا" و"يوليوس قيصر" و "هرون الرشيد".[24]

هذه هي أهم ميزات الواقعية النقدية، ذكرناها بأي قدرمن الإجمال، وبعد عرض خصائص وميزات الواقعية النقدية نجد الواقعيين يرسمون شخصياتهم الجسمية وملابسهم بدقة بالغة.إن بالزاك عادة يعطينا صورة عن شخصياته قبل أن ينتقل إلى الحديث عن العلاقات التي تربط بينهم. ولا يكتفي بلزاك بهذا، بل نراه يتغلغل حتى في الملابس الداخلية لشخصياته كما يفعل على سبيل المثال بالسيدة "فوكه" ذات التنورة" الداخلية المصنوعة من الصوف المشغول بالإبرة، وهذا ما نجده عند "تولستوي" أيضا.

---

[24]. الواقعية وتياراتها في الأداب السردية الأوربية ، الدكتوررشيد بوشعير، ص :55-56

الواقعية الطبيعية

يعد زولا رائد الواقعية الطبيعية في الغرب، وإليه يعود الفضل في بلورة مفهومها وحقيقتها من خلال كتاباته التنظيرية التي نشرها على امتداد سنوات طويلة. وقد بدأ بنشرها سنة 1866م، حين كان على اتصال بالجمعية العلمية في مدينة إلكيس لاشابال، وتوجت هذه الكتابات بكتابي "الحملة" و "الرواية التجريبية" اللذين نشروها سنة 1988م.

لكن هناك اختلاف بين النقاد حول المؤسس الحقيقي للواقعية الطبيعية، فعلى سبيل المثال يرى الدكتورصلاح فضل أن زولا هو مؤسسها الأول.[25] بينما يرى "إرنست فيشر" أن مؤسسها الحقيقي هو"فلوبير" الذي فتح الطريق أمام الحركة الجديدة بروايته "مدام بوفاري".[26]

فإذا كانت الواقعية قد اعتمدت على الملاحظة المباشرة لكي تصور الواقع على النحو الذي آمنت بحقيقته، فإن الطبيعية لا تكتفي بالملاحظة بل تستعين بالتجارب والأبحاث العضوية والفسيولوجية لمعرفة حقائق الإنسان العميقة وحقائق الحياة. وقد صاغ اميل زولا هذاالمنهج في عدة مقالات جمعها فيما بعد في كتاب سماه "القصة التجريبية"، وهو في صياغة هذاالمنهج لم يتأثر بالواقعيين فحسب، بل ولا بأنصارالفلسفة الوضعية وعلى رأسهم أوجست كونت، أو النزعة العلمية الجبرية في نقد الأدب، على نحو ما فعل تين الذي كان يرى في الأدب والأديب نتاجا للأجناس والزمن والبيئة- لم يتأثر زولا بكل

---

[25]. انظر كتابه "منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، ص : 199

[26]. انظر كتابه "ضرورة الفن" ص :100

هؤلاء فحسب، بل وتأثر أيضا بالمناهج التجريبية في الطب وعلوم الحياة وبخاصة بكتاب كلودبرنار الخالد الذكرالمسمى " مقدمة في دراسة علم الطب التجريبي" . [27]

ويشير دكتور غنيمي هلال الى هذه الحقيقة: وقد زاد "إميل زولا" على مبادئ الواقعية مبدأ آخر، هو أنه لا بد أن ينتهى الكاتب في قصصه إلى نتائج تؤيدها العلوم فيما توصلت إليه. فبعد أن يجمع الكاتب الحقائق كما لاحظها ملاحظة دقيقة ليضع بها بنائه الفني، ويهئ الأرض الطيبة التي تتحرك فيها شخصياته الأدبية، يأتي دورالتجربة التي بها يحرك شخصياته في دائرة وقائع خاصة ليبرهن على أن توالى الحقائق يتم طبقا لما أدت إليه الوقائع المدروسة في العلوم. وقد ألف زولا- تطبيقا لمبدئه السابق- في واحد وثلاثين قصة طويلة، تاريخ أسرة فرنسية متعاقبة الشخصيات هي أسرة "روجون ماكار" Rougon Macquart" وقد انتهى في هذه القصص إلى نتائج الشخصيات كان قد وصل إليها علم الوراثة لعصره .[28]

وأهم خصائص الواقعية الطبيعية هو وصف طبائع الانسان وحقائق الأشياء، أي الحياة الطبيعية، وتحويلها الى فن يطابق الواقع، وقد هوجمت بحق في نقطتين: الاولى مبالغتها في مطابقة الواقع بحيث يكون صورة طبق الأصل، والنقطة الثانية مااشتملت عليه بعض أعمالها التطبيقية من وصف للبشاعات والشذوذ والأمور الغريبة. ولا تزال تلك المبالغة وهذاالوصف ملحوظين فيما يكتب عندنا من قصص، كما لا يزال في بعض القصص العالمية. [29]

---

[27]. الأدب ومذاهبه ، د. محمد مندور، ص : 106

[28]. الأدب المقارن ، د.غنيمي هلال ، ص :87

[29]. الواقعية في الأدب ، عباس خضر، ص: 8

وهنا يرى بعض النقاد أن الواقعية الطبيعية امتداد للواقعية النقدية، فالدكتور محمد مندور يذهب إلى أن "هذاالمذهب الذي يتزعمه إيمل زولا يعد تطورا طبيعيا للواقعية النقدية. وكذلك الأمربالنسبة إلى الدكتور محمد غنيمي هلال الذي يفهم من سياق كلامه عن هذاالمذهب أنه يعده مواصلة لتطور الواقعية النقدية. بل إن الدكتور"هلال" لايكتفي بهذا وإنما يجزم بأنه لافرق بين الواقعيين والطبيعيين إلا في المبدأ الذي تمسك به زولا في الانتهاء في القصص إلى نتائج أيدها العلم من قبل.

وربما التباس الأمر على هذين الناقدين وغيرهما يعود إلى ماكان يدعيه زعيم الواقعية الطبيعية "إيميل زولا" من أن مذهبه حلقة من حلقات تطور الواقعية النقدية، وشكل انتهت إليه هذه الأخيرة. والحقيقة أن الطبيعية ليست امتدادا للنقدية إطلاقا، إن لها منهجها وأسسها، وخلفيتها التي تعتمد على محاكاة أسلوب العلوم التجريبية والأبحاث العضوية والفسيولوجية، التي تأثرت بها بشكل مباشر، كما أنها لا تختلف عن النقدية بميزة واحدة فحسب، بل تختلف عنها بعدة ميزات، ولا ندري لماذا تحسب الطبيعية على النقدية و"تؤخذ هذه الأخيرة بأخطائها وذنوبها الكثيرة. وسوف تتضح لنا الهوة الواسعة بين المذهبين المذكورين من خلال استعراضنا لبعض ميزات الطبيعة.

1. تصدرالطبيعية عن فلسفة في الحياة مؤداها أن الانسان شقي شرير، وأن سبب شره وشقائه يعود إلى الطبيعية الدنيئة وإلى العيوب والعاهات التي ورثها الناس عن أسلافهم، واكتسبوهامن بيئتهم.

والفرق بين النقديين والطبيعيين، أن أولئك يرون أن سبب الداء والفساد يعود إلى المجتمع بالدرجة الأولى، أما هؤلاء فيلحون على الأسباب البيولوجية الوراثية خاصة. ولهذا فإننا نجد كثيرا من الشخصيات التي تمثل كثيرا من الخير والاستقامة والطيبة في روايات الواقعيين النقديين، بينما لا نجد عند الطبيعيين سوى حيوانات سلبية متوحشة، لا تبالى بسفك الدماء، ودوس المقدمات من أجل إشباع غرائزها كما سنرى بعد قليل أثناء عرضنا

لبعض أعمال الطبيعيين فلا بد أن لا تنسى أبدا بأن تلك الشخصيات قد وجدت لضرورة فنية معلومة، وهي أن تكون وسيلة لإيضاح قتامة الشخصيات الشريرة، أو أن تكون ضحية، مادام الكاتب لا يستطيع أن يكشف عن شرامة القاتل إلا من خلال المقتول. ولما كان الإنسان عبدا لغزائره وشهواته في رأي الطبيعيين، فإنه ليس حرا في تصرفاته وسلوكه في الحياة الإجتماعية. إن الإنسان عند الطبيعيين متأثر وليس مؤثرا..... إنه خاضع لجبرية قدرية لا فكاك منها إطلاقا.

2. أنها تنزع نزعة فوتوغرافية، وثائقية في وصف الأشياء والحياة. وهذا ناتج عن المبالغة في الدعوة إلى الموضوعية التي فهمها الطبيعيون على أنها نسخ الموجودات كما تنسخ آلة التصوير. ويرى الطبيعيون أن هذا النسخ هوالعدل كل العدل في الفن، إذ يقول فلوبير في إحدى رسائله إلى الكاتبة الفرنسية "جورج صاند" : انى لا أريد حبا أو كراهية، لا شفقة ولا غضبا..... ألم يئن الأوان بعد ليحل العدل مكانه في ميدان الفن؟ إن نزاهة الوصف عندئذ يصبح لها حلال القانون. وقد طبق فلوبير مفهومه هذا أحسن تطبيق في روايته "مدام بوفاري".

وقد كان لهذه النزعة آثار سيئة في كتابات الطبيعيين، فالأوصاف عندهم أصبحت منفصلة عن مصائر الشخصيات التي يقدمونها انفصالا يكاد يكون تاما، على عكس ما نجده عند الواقعيين النقديين. إن الوصف لا يتخذ غاية في حد ذاته،بل يتخذ وسيلة للإيحاء بالحالة النفسية للشخصيات. فإن الطبيعيين يفصلون بين الشخصيات ما يحيط بها من أشياء ومناظر طبيعية ومظاهر عمرانية وحضارية.

ومن آثار السيئة التي تركتها النزعة الفوتوغرافية في أدب الطبيعيين على وجه العموم، أنها جمدت الحياة تجميدا. ولم تتمكن من التغلغل في جوهرها والتعبير عن حركتها الحيوية، ولم تتمكن من رؤية التطور التاريخي رؤية سليمة. ومن هنا فإنه يحق لناأن نذهب مع "أرنست فيشر" الذي عد الموضوعية عند الطبيعيين موضوعة مزيفة خادعة،

لأنها لم تستطع أن ترى ان تلك الظروف (التي كانت تنسخها) هي صراع بين الماضي والمستقبل، بل كانت ترى فيها حاضرا ثابتا لا يتغير. لم تنظر إليها حركتها وتحولها، بل رأت فيها لحظة ثابتة في الزمن.

بالإضافة إلى ذلك فإن الطبيعيين قدأخفقوا إخفاقا ذريعا في تقديم نماذج بشرية مثل النماذج التي قدمها النقديون. وهذاأمر بديهي تماما، ذلك أن النمذجة لا تقدم على نقل الجزئيات السطحية المباشرة في الحياة. بل تقوم على الاصطفاء والانتقاء للعناصر التي تبرز أعماق الحياة، وحركة التاريخ. إن الطبيعيين يهتمون بكل التفاصيل في الواقع، سواء كانت هذه التفاصيل ذات دلالة أم ليس لها دلالة على الإطلاق: "حوار جوهري أو حدث حاسم، وكذلك طنين نخلة أو دخول امرأة تبيع البيض يقطع ذلك الحوار أو الحدث، كلها تعد على قدم المساواة من حيث الواقعية لدى الطبيعيين.

مع نهاية القرن التاسع عشر، أخذ نجم الواقعية الطبيعية في الاضمحلال والأفول، فاسحا المجال لبروز مذاهب جديدة تقتضيها حتمية المرحلة التاريخية الجديدة.

الواقعية الاشتراكية

لا يوجد تعريف جامع للواقعية الاشتراكية ذلك أن هناك أنواعا من الواقعيات الاشتراكية تختلف باختلاف الأدباء والأمكنة والأزمنة وطبيعة الممارسات الإبداعية.

فيقول عنها أحمد قبش : "وقد عرفت الواقعية الاشتراكية تعريفات مختلفة منها : " إنها النضال في سبيل القضاء على نظام الملكية وتحقيق النصر للنظام الاشتراكي" ومنها" أن من بين أهدافها إبداع النماذج والشخصيات النموذجية التي تظهر في العصر الثوري " ومنها "أنها لا تقتصر عى شرح الحقائق الواقعية في العالم الجديد، وإنما عليها فوق ذلك أن تصلح الناس وتثقفهم تثقيفا اشتراكيا " وباختصار: فالواقعية الاشتراكية لا تختلف عن المذاهب الواقعية الأخرى من ناحية حرصها على تصوير الواقع في دقة وأمانة. [30]

وهنا تعريف آخر قدمته "الموسوعة العلمية الفلسفية التي وضعها مجموعة من العلماء والأكاديميين السوفيات (موسكو1967م) ورد في هذاالتعريف: "إن جوهر الواقعية الاشتراكية يكمن في الإخلاص لحقيقة الحياة، بصرف النظر عن مدى ما تكون عليه من جفاء. ويكون التعبير عنه في صورة فنية من الزاوية الشيوعية. أما المبادئ الإيديولوجية والجمالية الأساسية للواقعيةالاشتراكية فتتمثل فيما يلي:

الوفاء للإيديولوجية الشعبية، وضع النشاط الإنساني في خدمة الشعب وروح الحزب، الارتباط العضوي بنضال الجماهير الكادحة، نزعة إنسانية اشتراكية وأممية، تفاؤل تاريخي، رفض الشكلانية والذاتية وكذلك الذاتية الطبيعية.[31]

---

[30]. تاريخ الشعرالعربي الحديث ، أحمد قبش، ص :497

[31].v. Shklovski:L'art comme procede, Moscou, 1929, Traduit dans. T. Todorov, theorie de la Litterature, Paris, Seuil, 1965

يقول صاحب مذاهب الأدب معالم وانعكاسات: " إنها طريقة فنية تفترض تصوير الواقع تصويرا صادقا محددا تاريخيا من خلال تطوره الثوري، بهدف تربية الكادحين تربية اشتراكية".[32]

فالناقد "مويسي كاجان" يرى الواقعية الاشتراكية بمثابة "إعادة الخلق الصادق للحياة وفق معيارالمثل الأعلى الاشتراكي" وغروموف" يرى أنها "منهج" فني جديد يتخذ المبادئ "الماركسية اللينينية" أساسا فكريا فلسفيا له. أما "شولوخوف" فيرى أنها "نظرة إلى العالم، ترفض مجرد تأمل الواقع والانسحاب منه، وتدعوإلى النضال من أجل تقدم البشرية. بينما يرى بعض النقاد "الواقعية الاشتراكية منهجا فنيا يتمثل جوهره في الانعكاس الصادق المحدد تاريخيا للواقع في تطوره الثوري أي في مسيرة المجتمع نحو الشيوعية.[33]

ولا نريد الآن أن نخوض في تعريفات الواقعية الاشتراكية أو نناقشها لكي نفضل تعريفا على آخر أو نضع تعريفا شاملا لها ، بل نترك قضية التعريف مكتفين بالمفهوم الذي سوف يتضح لنا من خلال تعرضنا لأهم خصائص هذاالمذهب الأدبي فيمابعد، وحينئذ، يمكن الاستغناء عن أي تعريف .

رأى بعض النقاد السوفييت أن خير وسيلة لتفهم الواقعية الاشتراكية هي وضعها مقابل الواقعية البورجوازية فذلك أشبه بوضع الشكل الإيجابي للشئ مقابل شكله السلبي. وبالمقارنة بينهما نجد أن الواقعية البورجوازية هي بمثابة احتجاج على الواقع الذي يكتنفها، وهي من هذه الناحية يمكن أن تعد ثورية. أماالواقعية الاشتراكية فتتخذ موقفا إيجابيا من الحقائق الواقعية الجديدة التي تمخض عنها مجمتع جماعي. وهي أساسا متفائلة

---

[32]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. ياسين الأيوبي، ص: 325

[33]. الواقعية وتياراتها في الأدب السردية الأوروبية، د. الرشيد بوشعير، ص : 87

تقول للحياة "نعم" وتختلف في ذلك كل الاختلاف عن الواقعية التي سبقت الثورة والتي كانت أساسا متشائمة وكانت تقف من الحياة موقفا غير سليم وغير وداع.

وهي تصور واقعا جديدا مختلفا كل الاختلاف عن الواقع القديم وتعبر عن مجتمع تخلص من عهد الاستبداد والاستغلال وراح يبنى حياة جديدة قائمة على دعائم العدل الاجتماعي وعلى شعار "الخير والسعادة للجميع" ولذلك قيل إنها واقعية التفاؤل والاستبشار". وإذا كانت الواقعية البورجوازية لم تفطن إلى القوى المستقبلية النامية في مجتمعنا، ولم تشجعها إلا تشجيعا سلبيا يكشف سوء النظام القائم، وتبصير الناس بمثالب الطبقة التي انفردت بالسلطان في ظله وتأليب الرأي العام عليها، فإن الواقعية الاشتراكية تضع حركة التطورنصب عينيها وتركز جهدها في تنشيطها وتتوسل إلى ذلك بصدق تصوير الجهود التي تبذلها القوى البناءة فإن صدق هذاالتصوير جدير بتبصير تلك القوى بنواحى التعثر ونواحى التوفيق في أعمالها، ويحفزها إلى مضاعفة الجهود في سبيل تحقيق أهدافها.[34]

وقد اعتبر مكسيم غوركي (1868-1936) رائد هذاالأدب الواقعي الاشتراكي الذي لا يحاول فهم العالم وحسب، وإنما إعادة بنائه ثانية، لهذا فهي تدرسه من أجل بنائه، وهي على يقين بأن الطبيعة والمجتمع يرضخان للنظرية الديالكتيكية القائلة بأن التطور، يكمن في صراع التناقضات الداخلية. والكاتب العظيم، في الأدب الاشتراكي، هو الذي يستلهم الفكر الثوري الاشتراكي، على حد قول أرنست فيشر، ولكنه يتحرر من صلابة العقيدة ونظمها الصارمة، بأشكاله التعبيرية التي تحقق له المضمون الثوري، والنزعة الفنية الجمالية في آن واحد. وإلا يصبح أدبه واجهة سياسية متزمة لا أدب فيها ولا جمال. أو كما يقول بالنص: "إن الفنان أو الكاتب الاشتراكي، يتبنى وجهة النظر التاريخية للطبقات

---

[34]. تاريخ الشعرالعربي الحديث ، أحمد قبش، ص : 497, 498

العاملة، ولكن ليس معنى ذلك، أنه ملزم بالدفاع في انتاجه عن أي عمل أوقرار يتخذه أي حزب أو شخصية تمثل هذه الطبقات العاملة.

وقد نشأت الواقعية الاشتراكية في فن الأدب قبل غيره من الفنون الأخرى، كالرسم والنحت، والموسيقى، والسينما، وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى تلك العلاقة الوثيقة بين الأدب والفكر والفلسفة.

فيتحدث الكاتب الروسي المعاص سيمونوف Simonov عن هذه الواقعية ويقول:"إن الأشياء التي نرى حولنا، إنما ننطلق في تفسيرها من ذهنية معينة، نمتلكها عن الحياة. وفي إمكاننا أن نغير الصورة بما هو أحسن. ولا بد من مقاومة الشر والتشاؤم، وخاصة بعد أن حققنا انتصارا نفسيا واجتماعيا كبيرين، في ثورتنا الاشتراكية. ثم لا يكفى- يقول سيمونوف- أن يقص الروائي ما حدث فعلا، لكي يوصف بالصدق، بل يكفيه أن يقص ما يمكن حدوثه، وبذلك يصبح أدبه معقولا ومشاكلا للحياة.[35]

والواقعية الاشتراكية تقوم على أساس فلسفي مخالف للواقعية الأوروبية، ولكنها تتفق معها في أكثر النواحى الفنية. ومن أهم الفروق بينهما أن الواقعية الأوروبية واقعية نقدية تعنى بوصف التجربة كماهي، حتى لوكانت تدعو إلى تشاؤم عميق لا أمل فيه. في حين تحتم الواقعية الاشتراكية أن يبث الكاتب في تصويره لك دواعي الأمل في التخلص منه، فتحا لمنافذ التفاؤل حتى في أحلك المواقف، ولو أدى ذلك إلى تزييف الموقف بعض الشئ.

يقول صاحب مذاهب الأدب معالم وانعكاسات " ما قاله مكسيم غوركي، عن الفروق ما بين الواقعيتين : الناقدة والاشتراكية، يعد من أحسن وأوفى ما قيل في هذاالموضوع.

---

[35]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. ياسين الأيوبي، ص: 327

وقد لخص الدكتور شكري رأيه خير تلخيص في قوله: "إن الواقعية الناقدة تدور حول محور رئيسي، وهو الفردية البائسة التي ترى عيوب مجتمعها، ولكنها لا تقدر على تغيير هذاالمجتمع، لأنها لا تلتحم بالقوى القادرة على تغييره، وهكذا ينتهى تمردها إما باليأس، وإماباالخضوع. أما الوقعية الاشتراكية الجماعي، وهي فردية إيجابية متفائلة.[36]

وبعد عرض تعريفات الواقعية ومفهومها يمكن لنا الوقوف على أهم خصائص الواقعية الاشتراكية التي يمكن حصرها فيما يلي :

1. النزعة التعليمية: وهي النزعة التي نجدها واضحة في كل إنتاج الواقعيين الاشتراكيين تقريبا، بما فيهم "ماكسيم غوركي" و "برتولد بريخت" الذين يعدان عملاقين بالقياس إلى سائر الأدباء الاشتراكيين، سواء في روسيا أم في غيرها.
2. التفاؤل: ملاحظ التفاؤل في الواقعية الاشتراكية بشكل واضح. وهذا بعكس مارأيناه عند الواقعيين النقديين والطبيعيين من قبل. إن الواقعيين الاشتراكيين، يرفضون بشدة النزعة الفوتوغرافية التوثيقية عند الطبيعيين، "فما الفنان الصحفى" عندهم.

وقد أجرى الدكتور محمد مندور حديثا مع أحد كتاب الواقعية الاشتراكية، وهو "سيمونوف" فوجه إليه سؤالا فيما معناه : لماذا يؤخذ على الكاتب الذي يصور شخصيات سلبية متخاذلة مادامت تلك الشخصيات موجودة في واقع الحياة اليومية بالفعل؟ فأجاب "سيمونوف" بأن كل فن اختيار، واختيارالشخصيات السلبية المتخاذلة لتصويرها ينم عن ضعف وشيخوخة وفضلا عن ذلك فإن ما نسميه واقعا ليس إلا الصورة الذهنية التي لدينا عنه. ولما كانت هذه الصورة ملكنا فنحن نستطيع أن نلونها باللون الذي نريده والذي فيه مصلحة لأنفسنا ولمجتمعنا.

---

[36]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. يلسين الأيوبي، ص: 337

ومهما يكن من أمر، فإن الواقعيين الاشتراكيين ينظرون في أدبهم إلى الحياة نظرة متفائلة خلافا للنقديين والطبيعيين. وذلك بالرغم من العقبات الكأداء التي تحول دون تحقيق النظرية الاشتراكية.

وفي نهاية يمكن لنا أن ننقل ما قاله د. ياسين الأيوبي عن الواقعية الاشتراكية: "فإن الواقعية الاشتراكية، حركة أدبية آخذة بمعطيات النظم والنظريات السياسية التي تدعو وتخطط لحرية الإنسان وسعادته في العصر الحديث. وسبيل هذه الواقعية، الصدق الحياتي، وسمو الأفكار، وقوة التصوير لشتى التيارات الرجعية والعدمية والضحلة في الأدب. كما تتميز بادراكها العميق للحياة في تطورها الثوري، من خلال برنامج عمل قادر على تحسين الحياة، ومنح المواطن فيها رحيق التفاؤل التاريخي والثقة في قوى الإنسان المبدعة، التي يعمل الأدب الواقعي الاشتراكي، بواسطتها للوصول إلى حياة انسانية أفضل.[37]

---

[37]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. ياسين الأيوبي، ص: 331

الفصل الثاني

الواقعية في الأدب العربي

عندما نتابع تاريخ الواقعية في الأدب العربي ينبغي لنانأن نبدأ من النقطة البدائية التي تتمثل في الأدب الجاهلي بصورة عامة. وإذا رأينا الواقعية في الأدب الجاهلي وجدنا أن جذورها عميقة وقوية وتتجلى أثرها الى حد ملحوظ ، إذ نعرفها مع معظم الشعراء الجاهليين، ثم الإسلاميين ، حتى إذا جاء العصر العباسي اتخذ له أبعادا أوسع وأكثر قربا من الحياة الاجتماعية. ولكن الواقعية آنذاك لا تعنى ما نفهم منها ونعرف عنها اليوم بل يفهم منها تصوير الواقع وتفسيره، وسجل صادق لمختلف القضايا التي عرفها الحياة العربية آنذاك، من حروب وارتحال ومواسم ومناسبات وطبيعة ومعتقدات بل تجاوزا من ذلك تقويم الحياة الاجتماعية وتوجيهها نحو آفاق أكثر استقرارا وغنى.

لاشك في أن "الواقعية" كمذهب أدبي أو فني كلمة جديدة، صيغت هكذا لتدل عليه، على اختلاف ما أطلقت عليه وما أريد لها من الدلالات، وهي نسبة إلى الواقع. أما دلالتها اللغوية بمعنى تصوير الواقع والتعبيرعنه، فهي قديمة قدم الأدب والفن، أي أنها كانت موجودة قبل أن يكون لها أنصار وخصوم، فالإنسان منذ بدأ يعبر عن وجدانه انما كان يتناول واقعه وواقع من حوله من الناس والأشياء. مرة يصورالواقع مجرد تصوير وأخرى يستهدف بتصويره أغراضا أخرى.

كان أدبنا العربي في العصرالجاهلي أدبا واقعيا قبل أن توجد "الواقعية" كمذهب أدبي بمئات السنين. أما محاكاته في العصورالتالية والانشغال بها عن الاصالة، فذلك ما نسميه

بالأدب الاتباعي(الكلاسيكي) وهو يقابل الكلاسيكية الغربية التي انهكمت في محاكاة الأدب اليوناني القديم والتمسك بأصوله وقواعده في العصور المتوسطة.[38]

الواقعية في الأدب الجاهلي

إذا كانت الواقعية تعنى تصوير الواقع وتفسيره فإن الشعر الجاهلي، بمعظمه لا يخرج عن هذاالاطار، لأن الشعر يسجل بأمانة وصدق مختلف مظاهرالحياة العربية آنذاك من وصف الطبيعة والعادات والتقاليدِ ومناظر الحرب والجدل وتصوير المواسم والمناسبات والمعتقدات. كل ذلك وغيره نجد له أكثر من صورة في شعرنا الجاهلي، فالشعر الجاهلي كثيرالزاد فيما يتعلق بوصف مظاهر الحياة الواقعية بل هو يقوم أيضا بتقويم الحياة الاجتماعية وتوجيهها.

وبذلك يكون الأدب الجاهلي قد طرق وجهي الواقعية التي عرفها الأدب الأوروبي: الوجه العارض الناقد، والوجه الاشتراكي الهادف، ولكن بطريقة عفوية تلقائية لا تستند إلى أي نوع من أنواع النقد المسبق أو النظرية الموجية. وهذه الواقعية التلقائية، لم تبق على حالها في العصور اللاحقة، لأن الحياة، قد تطورت، فأصابها تغير محسوس في بنية التفكير، واتساع كبير في رقعة الأخذ والعطاء في النتاج الحضاري والثقافي.

يقول الدكتور فايزترحيينى: " من المتعارف عليه أن الشعر الجاهلي يمثل الحياة الجاهلية تصويرا واقعيا، سواء أكانت المعلقات سبعا أم عشرا، وسواء أكانت حقيقية أم منتحلة كليا أوجزئيا، وسواء أكان بعض شعرائها الذين نسبت اليهم حقيقيين أم خياليين. فالمتفق عليه أن تلك القصائد تصورالحياة العربية قبل الإسلام تصويرا يكاد يكون فوتوغرافيا واضحا، لا مجال للشك في صوابية تصويره للواقع. ففي كل كلمة من كلماتها، بل وفي كل حرف

---

[38]. الواقعية في الأدب ، عباس خضر، ص: 6

تجد جفاف البادية، ووحوشها، وشعابها ومناخها، كما ترمق قبائلها وطباعهم وحروبهم وأيامهم وصفاتهم كالكرم والشجاعة والضيافة وقرى الضيف. وتحس احساسا حيا بحبهم وحكمتهم وبكل سماتهم الحياتية الخاصة والعامة. وهذا يحدد بنا الى القول أن أدبا في العالم القديم لم يكن أكثر واقعية من شعرنا الجاهلي، قبل أن يصبح للواقعية فلسفة أو حتى إسما ومدلولا كما نفهمها اليوم.[39]

الواقعية في الأدب الإسلامي والأموي

إن الشعرالعربي له دوركبيربارزفي تخليق نموذج الأدب الواقعي في العصرالإسلامي والأموي. في هذين العهدين المتميزين نهل الشعرالعربي من ينابيع الحياة الجديدة، بفضل الشعراء الذين قد نظموا قصائد شبه وثائقية تصف بدقة مختلف الأحوال التي صادفتهم في مدارات جهادهم وتفاعلهم مع الأوضاع الجديدة. وهذه القصائد كانت صادقة المعاناة والوصف ، في شعررقيق وإنساني، جمع العاطفة إلى الفكرة السامية، وتناثرت فيه الوقائع بالرؤى، والمشاعربالسمو.

يقول الدكتور نوري حمودي القيسي- كان هذاالضرب من الشعر سجلا وافيا ووثيقة تاريخية مهمة، ولونا صادقا من ألوان التعبير التي يمكن أن تصحح الحوادث التاريخية، وتحدد أجزاء الوقائع، وترسم خطوط المسيرة التي قطعتها مواكب التحرير.....وهو في كل مجال من هذه المجالات يعبرعن حالة واقعية، وحوادث ملموسة، عاش أحداثها عن كثب، وراقب تطورها بدقة، وعبر عن إحساسه بها بصدق، وهذا ما يعين الباحثين على استقصاء الأخبار بموضوعية، ويساعدهم على متابعتها بأمانة.[40]

---

[39]. الدارما، ومذاهب الأدب ، الدكتور فايز ترحيبنى، ص: 203-204

[40]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. ياسين الأيوبي، ص:371-372

الحرية الاجتماعية التي منحها الحكم الأموي تؤدي دورا كبيرا في اتجاه الشعر ونشوء الحركات السياسية والدينية فاتخذ الشعرنبرة عالية ومنابر متعددة.

وهذاالشعرلا يشكو من قلة الأصالة بل هو شعرصادق ساهم في رسم الحياة العربية وتصوير النزعات والميول وعبر عن روح تلك المرحلة بكثيرمن الأصالة والمعاناة. لانبعد عن الحقيقة ولا نتلو آيات الكذب إذا نقول إن شعر الغزل الذي عرفته المدرستان: العذرية والإباحية، رمزهذاالصدق أوقل هذه الواقعية، التي تعمقت معانيها واتسعت دائرتها، لتشمل حكايات الحب والمغامرة واللقاءات والسهر والعذاب وأشكال العيش المختلط بين أبناء العشق....

واقعية عمر بن أبي ربيعة

هو أبوالخطاب عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شاعرقرشي يعد إمام شعراء الغزل عند العرب لأنه في نظر النقاد أكثر الشعراء غزلا، وأوفرهم تطلبا لمحاسن المرأة، وأشدهم تعلقا بالجمال، حتى أصبحت حياته كلها في غزله ولهوه، وحتى أصبح اللهووالغزل حياته كلها، وحتى أصبح التاريخ لا يعرف ابن ربيعة إلا مع الغزل وفيه، ولا يذكرالغزل إلا ويقرنه باسمه.

روي أن ولادة عمر بن أبي ربيعة كانت يوم مات الخليفة عمر بن الخطاب أي سنة 23 للهجرة. وهو ولد في مكة ونشأ على اللين والدلال وله من دهره شباب وجمال وفراغ، وانقطع اللهو النقطاعا تاما، وكان شديد الانصراف الى نساء الطبقة الراقية، فأصبح شغل النساء الشاغل.

يعتبر عمربن أبي ربيعة، من أكبر شعراء الواقعية في الغزل العربي،إن لم يكن أكبرهم- أو بالأحرى رائدهم- لأن عمر"لم يكن شاعر حب ولذة فقط، ولكنه شاعر أحاسيس المرأة وأخبارها وأمانيها وظروفها المتنوعة. وحينما يصل الأمر به إلى هذاالمستوى، لا يعد

شعره تسجيلا للقاء ورصدا لمشاعر شخصية، بل يتحول إلى تصوير عام للواقع النفسي وما ينعكس منه أو عليه .على هذا النسق الواقعي، نهج شعراء الغزل في العصرالأموي، مع تفاوت في مستوى الصراحة والصدق، والعمق والمعاناة، لأن موجة التقليد الشعري ظلت جلية في مختلف الأغراض الشعرية ولدى سائرالشعراء.

لذلك فإن واقعية الأدب في هذاالعصر، هي واقعية انتماء الشعرإلى أصحابه، وتمثيله لأشواقهم وصراعهم مع التقاليد والقدر. وينطبق هذا الكلام بخاصة، على شعراء الحب العذري. وإذا انخفض مستوى التلقائية والعفوية، عماكان عليه لدى شعراء الجاهلية والاسلام، فإن الواقعية ظلت مع ذلك، سمة الأدب الأموي، وصبغته العامة، دون أن ندخل في مناقشة مع أشعار المدح والهجاء والرثاء، التي سادها تكلف كثيروتقليد كثير. مما أفقد الشعرإحدى أسمى خصائصه وهي الصدق الشعوري الذي يعكس صدقا فنيا..... ولكننا نرمى هنا إلى أشعار الذين اعتمدوا في شعرهم على السليقة والصدق من جهة، وعلى المشاركة الفعلية في ترجمة الواقع وتلوينه بما استجد في البيئة العربية من أفكارجديدة وأحداث جديدة من جهة ثانية، وهو مارأيناه مثلا مع شعراء الخوارج والشيعة وشعراء الأحزاب السياسية في البلاط الأموي..... وهؤلاء وأولئك، لم يكن شعرهم إلا صدى حقيقيا لواقع الحياة العربية في العصر الأموي.[41]

---

[41]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. يلسين الأيوبي، ص : 272-273

الواقعية في الأدب العباسي

العصر العباسي هو عصر الازدهار للفنون والآداب فقد شهد المجتمع في هذاالعهد تطورا كبيرا وتغيرا محسوسا في المحتوى والبنية. فقد نمت وتطورت وازدهرت العلوم والفنون بفضل الكتاب العباقرة والأدباء البارزين والمترجمين الشهرة ، ومن الطبيعي أن يصيب الواقعية نصيب من هذاالتطور والتجدد. حينما نتابع بذور الواقعية في العصرالعباسي ينبغي أن تكون على وعي ببعدين جديدين بهذاالصدد: البعد الاجتماعي والأخلاقي والبعد النفسي الفني. أما البعد الاجتماعي الأخلاقي فإمامه أبوعثمان الجاحظ وإمام الثاني أبونواس.

واقعية الجاحظ

هو أبوعثمان عمروبن بحر الجاحظ إمام كتاب العصرالعباسي غير مدافع ولا منازع ويرجع إلى أصل غير عربي..... ولد في البصرة عام 159م ونشأ فيها نشأة متواضعة قد نال الجاحظ شهرة مدوية في عصره وبعد عصره، إذ نجد النقاد والأدباء يلهجون دائما بمدحه والثناء عليه حتى ليقولون إن كتبه رياض زاهرة ورسائل مثمرة.

في البعد الأول نرى الجاحظ يعرض لطبقة من طبقات زمانه هي طبقة البخلاء، فيرصد حركاتهم وينقل أخبارهم ويحوك من ذلك كله قصصا أدبية أقل ما قيل ويقال فيها إنها واقعية. أما من جهة الموضوع، فإننا نجد الجاحظ يعنى بحكاية عصره وتمثيله تمثيلا دقيقا، بحيث تعد أعماله أهم مراجع تكشف لنا حقائق العصر الذي عاش فيه..... إنه يريد أن يجعل الأدب صورة من الواقع. وهو لذلك لايستعين بمفكرة الحاضروالعصر الذي يعيش فيه، وقد عرف كيف ينقله إلينا بجميع طبقاته وأفراده، وملاحمهم وخصائصهم النفسية.

أما من جهة الكتابية فقد حرص أبوعثمان على جعلها صورة لمجتمعه، وطبيعته هو، التي تشبعت فيها العناصر التكوينية لدرجة يصعب معها الإحاطة. على أنها لا تخرج عن دائرة الصدق والواقعية . وقد درس الدكتور شوقي ضيف هذه الخاصية بعناية وتوصل خلالها إلى الملا حظتين التاليتين:

1. من تأثيرواقعية الجاحظ "تدقيقه في ألفاظه وانتخابها بحيث تلائم ما يصفه أو يصوره حتى أنه ليتكى كلام المولدين والعوام بمافيه من لحن وخطاء لينقل إليك الواقع بكل ما فيه.
2. عدم عنايته بالتشبيهات والاستعارات إلا ماجاء عفوالخاطر أو كان الغرض منه تمثيل الواقع. وهذا طبيعي عند الجاحظ لأنه لم يكن يعمد إلى زينة لفظية، عشقا للزينة..... فالكتابة عنده معان تؤدي في دقة، تفسرالوقائع والأحداث، تفسيرا لاتستره أسجاف الاستعارات والأخيلة.[42]

كل ذلك يؤكد على أن واقعية الجاحظ كانت عامة، يصعب معها تلمس ناحية واحدة بعينها، فهي أوروبية ناقدة، واشتراكية هادفة، لا استقرار لها لأن صاحبها عالم قائم بذاته ليس لأحد أن يبلغ مداه، أو الاحاطة بماكتب أو أرسل أو تحدث وناقش. فجاءت واقعيته رافدا من روافد أدبه الذي لا يزال يدفق بالعلوم والمعارف حتى يومنا هذا.

---

[42]. الفن ومذاهبه في النثرالعربي، شوقي ضيف، ص : 163-164

واقعية أبونواس

هوأبو الحسن بن هاني الحكمي الدمشقي شاعرعربي من أشهر شعراء العصرالعباسي ولد مدينة الأحواز من بلاد خوزستان جنوب غرب إيران سنة 145م.

ثارأبونواس على التقاليد العربية والدينية، ورأى في الخمرة شخصا حيا بعشق، وإلاهة تعبد وتكرم، فانقطع لها، وجعل حياته خمرة وسكرة في موكب من الندمان والألحان، وكان شعره فيها استيعابا، واستيفاء وسهولة وعذوبة، ودقة تصويرية، وقصصا وحوارا. وهكذا كان أبونواس زعيم الشعرالخمري عند العرب.

فقد اتصفت واقعية أبونواس_ بالإضافة إلى ماعرف لدى الجاحظ من صراحة قول وتصوير لمشارب طبقة من الناس_ بهذاالزخم الفكري الشعوري المعبربوضوح عن مكنونات صاحبها، فهي من هذاالقبيل واقعية نفسية فنية، تعمل على خطين متوازيين، الأولى يخص الشاعر بأشواقه وصبواته وممارسته الحياة بصدق وصل إلى حدود غير مألوفة من الترجمة الذاتية، بكل ما فيها من تناقضات الإحساس واختلافات المنازع والشهوات.....

ويشتمل الخط الثاني على الأشكال التعبيرية لمضامين الخط الأول، من كثافة الصور والمعاني، وجمالى الأسلوب وأفانين العبارة.

يقول صاحب مذاهب الأدب معالم وانعكاسات: "على هذاالمنوال صاغ أبونواس أفكاره وعبر عنها تعبيرا صادقا طورمفهوم الواقعية، من حدود النقل والترجمة الأمينة، إلى حدود التصوير الفني الذي يجمع الحقيقة والخيال، الموضوعية والذاتية، ويخرج من ذلك بواقع وجداني اعتصر أجمل ما في اللغة الشعرية والتصاوير الحسية من عذوبة وإخلاص وشفافية، متجنبا مااستطاع، أساليب التطرف والمبالغة في تصوير الأشياء إلى حدود

الإغراب والتعقيد والتكلفات التي سادت معظم أشعار القرنين الثالث والرابع الهجريين وما بعدها، حيث فقدت الواقعية معظم عناصرها التي عرفها الأدب العربي قبل ذلك.[43]

الواقعية في عصر النهضة

تختلف الواقعية في عصرالنهضة مما سبقت أوجه الواقعية في مختلف العصور، تتميز الواقعية في هذاالعصر بتدريج الظهور وبارتداء الثوب التعليمي الهادف إلى نقد رذائل المدنية الحديثة عن طريق الترجمات أو الاقتباس الواسع، سواء أكان في القصص أوالمسرحيات أوحتى المقالات.

وغلب على واقعية النهضة موضوعان هما الموضوع التاريخي والموضوع الاجتماعي. فكان لنا في الموضوع الأول قصص جرجي زيدان المستمدة من التاريخ العربي الغابر، وقصص فرح أنطون ويعقوب صروف ومعظمها يدور على المزج المباشر بين الحقائق التاريخية والأسلوب الخيالي المتكلف ولا سيما مع يعقوب صروف في قصة "أمير لبنان".

وفي الموضوع الثاني قصص جبران خليل جبران وميخائل نعيمة ومحمود تيمور التي تدور على موضوع الحب والزواج ودجل رجال الدين وأساليب الإقطاع بمختلف أشكاله. لذا فان واقعية هذه المرحلة لم تستكمل مقوماتها الفنية، فضلا عن تكلف ظاهر في صوغ موضوعاتها- فهي أقرب إلى التسجيل والنقل الحرفي لوقائع المجتمع، منه إلى المعالجة الأدبية العميقة.[44]

---

[43]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. يلسين الأيوبي , ص: 378

[44]. مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، د. يلسين الأيوبي , ص: 380

الواقعية في الأدب العربي الحديث

أما معالم الواقعية في الأدب العربي الحديث تتضح في القصة والرواية والمسرحية والمقالة وقسطا لابأس به من الشعر، فقد برزت أعمالا أدبية واقعية جليلة على المسرح الأدبي من أهمها، كرواية زينب لمحمد حسين هيكل و"الأيام" لطه حسين وبعض روايات توفيق الحكيم "كعصفورمن الشرق" و"عودة الروح" و "يوميات نائب في الأرياف" وكتاب "أديب في السوق" لعمرفاخوري، وكتاب "قلب لبنان" لأمين الريحاني وكتب كثيرة لمارون عبود، وغيرذلك من مشاهير الكتب التي صدرت عن أصحابها بدافع المعالجة الاجتماعية، والأخلاقية او بدافع السيرة الذاتية أو التصوير الطبيعي المتداخل مع خلجات الأديب ومشاعره.

ومن المواضيع التي أسهمت في إغناء الأدب الواقعي، قضاياالريف التي دخلت الأدب المعاصرورفدته بالأحاسيس الطبيعية الصادقة ومواسم الإنسان في الأرض، وصراعة المستمرمع القدر والتقاليد المتوارثة، والإقطاع السياسي المتغلغل في قرى الريف ودساكره، بلا هوادة أو تقلص.

ومن أفضل الأعمال الأدبية التي تمثل هذاالجانب، رواية "الأرض" لعبدالرحمن الشرقاوي وروايتا طه حسين "دعاء الكروان" و"جنة الشوك" وكذلك قصص توفيق يوسف عواد وخليل تقي الدين اللذين يمثلان الأدب القصصي الواقعي على أحسن من يكون مثلا قصة "الصبي الأعرج" و "قميص الصوف" و "سارة" و"العاقر" و" الجرذون الشتوي " وغيرها وكلها تنطلق من الحقيقة الواقعية.

ومن الروائيين الذين مثلوا الواقعية في كتاباتهم طه حسين، وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وطاهر لاشين وعادل كامل وفتحى غانم ولطيفة الزيات ويوسف ادريس وعبدالرحمن الشرقاوي وغيرهم.

الفصل الثالث

ذيوع الواقعية في الأدب العربي المصري

مصر سبقت ماعداها من البلاد العربية في السير في الاتجاه الواقعي، وكان أدباؤها يطلقون على الواقعية "مذهب الحقائق" ولعل أقدم كتابة عربية في الاتجاه الواقعي ما كتبه لطفي جمعة في مقدمة قصته الطويلة "وادي الهموم" التي أصدرها في سنة 1905م، ويقول: " وأما طريقة كتابة الروايات الحقيقية (ويقصد الواقعية) فهي أن يلبس الكاتب ملابسه ويتزيا بغير زيه، ويتجول في الطرق الأزقة، ويدخل المجتمعات والمحطات، ويرقب حركات الناس..... ويبقى طول ليلته هائما في الطريق يدرس الأخلاق والطبائع والعادات..... ثم يجلس ويكتب قصته ويسبك فيها كل مارآه وسمعه" فمحمد لطفي جمعة يستحث الأديب على أن يدرس المجتمع وبعمق ويصور الواقع تصويرا حيا، لكن قصته لم تستكمل سمات الواقعية ولم تتوافر لها خصائصها.[45]

وفي سنة 1917م نشر محمد تيمور في جريدة السفور قصته "في القطار" فاختار أشخاصا من أنماط مختلفة اجتمعوا في إحدى عربات القطار، وأجرى بينهم حديثا تناول السبيل الأفضل لا صلاح الفلاح، يقول الشركسي أحد أبطال القصة "يريدون تعميم التعليم ومحاربة الأمية حتى يرتقي الفلاح الى مصاف أسياده..... فالعلاج الناجع لتربيته هو السوط الذي لا يكلف الحكومة شيأ. أما التعليم فيتطلب أموالا طائلة، فالفلاح لا يذعن إلا للضرب لأنه إعتاده من المهد الى اللحد" فمحمد تيمور يطرح قضية الأمية والتعليم، ويدرس تفكير الحكام المتخلفين أو الذين لا يهمهم سوى الغنى المادي، غير آبهين بالغنى الفكري والتقدم الحضاري، والى جانب محمد تيمور، وقف كل من عيسى عبيد وطاهر

---

[45]. الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، بدير حلمي، ص: 160

لاشين وغيرهما فكان نتاجهم نماذج حية للواقعية الاجتماعية التي بدأت تشخص الأمراض الاجتماعية في محاولة لإعطاء الدواء الشافي". [46]

ويبدو أن أهم رواد الواقعية في مصر من حيث الكتابة النظرية والابداع الفني هوعيسى عبيد المتوفى سنة 1923م. يقول: " فأدب الغد سيقام في عرفنا على دعامة الملاحظة والتحليل النفسي الراميين الى تصوير الحياة كما هي بلا مبالغة أوتقصير، أي الحياة العارية المجردة وهو ما يسمونه أدب الحقائق" وهكذا فإن ملامح الواقعية بدأت تظهر في مجال القصة الطويلة والمسرحية على يد كل من نجيب محفوظ وعلى أحمد باكثيروعبدالحميد جودة السحارويوسف السباعي ومحمد حليم عبدالله وإحسان عبدالقدوس وسهيل إدريس وغيرهم.ولكن قبيل الحرب العالمية الثانية إنحسرت موجة الواقعية وحلت محلها الرومانسية التي رمت الى الهروب من الوقائع بعد اليأس من تغييره، ثم بدت ملامحها تظهر مجددا بعد الحرب فكانت الولادة الثانية، بعد أن كانت الولادة الأولى بعد الحرب العالمية الأولى.

المذهب الواقعي في الأدب العربي المصري فقصته تختلف اختلافا واضحا عن قصة الكلاسيكية والرومانسية. فقد وجد كاتجاه أدبي أو نزعة أدبية ملموسة في الأدب الروائي العربي. وهو قد تأثربها تأثرا واضحا لا يدع للشك والبحث المضني.

فإن نظرة عابرة على الروايات التي ظهرت منذ الثلاثينيات في بلد مصر، تخبرنا بكون الاتجاه الواقعي معروفا ومألوفا عن الأوساط الأدبية وظاهرة قوية وأن كتابا كبارا تمثلوه في التعبير عن أفكارهم وعواطفهم ووجهات أنظارهم. إن القضايا الاجتماعية والسياسية والمشاكل الفردية والأدبية كانت في أمس حاجة إلى أن تعالج بأسلوب واقعي حي دون

---

[46]. نفس المصدر، ص: 160

لجوء إلى الخيال والهروب من الواقع المعاش.تتمثل الواقعية في كتابات كبار الكتاب في الأدب العربي المصري، فالروائيون المصريون الذين تتمثل فيهم هذه النزعة محمد حسين هيكل طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وطاهر لاشين وعادل كامل وعبدالرحمن الشرقاوي وفتحي غانم ولطيفة الزيات ويوسف ادريس وغيرهم، وتتمثل هي في روايات مثل شجرة البؤس ودعاء الكروان وعودة الروح وسلوى في مهب الريح وزقاق المدق وخان الخليلي وبداية ونهاية وبين القصرين وقصر الشوق والسكرية وحواء بلا آدم والجبل والباب المفتوح والحرام وقصة حب وغيرها.

في مجال الرواية الواقعية لا يمكن صرف النظرعن رواية "زينب" التي ألفها محمد حسين هيكل. هيكل كان أكثر توفيقا من كل من سبقوه حين بنى روايته على أحداث حياته الخاصة، فأكسب الرواية كثيرا من الواقعية التي لم تكن تتوافر عادة في رواياتهم فضلا عن أن اختيارالقرية المصرية، مسرحا لأحداث الرواية وشخوصها قد مكن المؤلف (ابن القرية) من تقديم صورة واقعية للعادات والقيم والتقاليد وجوانب الحياة الريفية التي حبرها هيكل وعايشها وانفعل بها عن قرب، ثم وظفها لخدمة الحدث فاكتسبت الرواية بذلك أصالة لم تتوافر فيما كتب قبلها من أعمال. ومن الملاحظ أن الكتاب رغم شهرتهم وغزارة انتاجهم في ميادين أخرى لم يمارسوا الكتابة الروائية الا بعد نجاح الطبعة الثانية لرواية "زينب" عام 1929م، وأن معظم رواياتهم كانت– مثل زينب– روايات سيرة ذاتية، فانه يتبين لنا مدى أهمية "زينب" في تطوير الرواية العربية بشكل عام، وبخاصة في طبعتها الثانية، أي أن التاريخ الحقيقي للرواية العربية الفنية يبدأ في عام 1929م حين ظهرت تلك الطبعة، ومعنى هذا أن عمر الرواية العربية حتى الآن لا يزيد على نحو سبعين عاما، على حين أن عمر الرواية الأوروبية يبلغ زهاء أربعة أضعاف هذه المدة.[47]

---

[47]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده،د. حمدي السكوت، ص: 40

أما رواية طه حسين "شجرة البؤس" وهي تتناول حياة أسرة صعيدية تعكس أسرة "طه حسين" نفسه من أواسط القرن الماضي الى أوائل القرن الحالي، كما تتميز بأنها أول رواية أجيال في تاريخ الرواية العربية. وان كانت تعاني، كسائرروايات "طه حسين" من اهتمامه الشديد بتوصيل فكرته الى القارئ من أقصرالطرق، حتى لو أدى ذلك الى ضعف البناء، أو انعدام التناسق بين تطور الشخصيات من جهة، والزمن الطويل الذي تطمح "شجرة البؤس" الى تغطيته فنيا من جهة أخرى، لدرجة أن حياة احدى الشخصيات منذ كانت في الرابعة عشرة من عمرها حتى بلغت السبعين، تقدم لنا – على هيئة أخبار– في صفحة واحدة.

ومع ذلك فان في الرواية جوانب ايجابية كثيرة، من أبرزها: نجاح المؤلف في تقديم صورة فنية حية للعوامل الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الصعيدي في ذلك الوقت، وتأثيرها في العادات والتقاليد ونظام الحياة الصعيدية، فضلا عن أن المؤلف كان يهدف الى تقديم رواية الأجيال للقارئ العربي، وفتح طريق جديدة للرواية العربية، ولفت أنظارالكتاب الى هذاالشكل الأدبي الجدير بالاهتمام.[48]

أما روايته "الأيام" يعد من أروع كتبه الأدبية وهو مؤلف جمع فيه صاحبه بين خصائص الفن الروائي والسيرة الشخصية الذاتية، مواصلا فيه مشروعه التنويري، وفي هذه الرواية يلتقي طه حسين بالثقافة الغربية، دون أن يذوب فيها نفسيا، ويفنى فيها فكريا، ويبدو مؤتلفا ائتلافا معتدلا بين حلم الشرق وعلم الغرب. وقد نحا فيه صاحبه منحي جديدا في محاولة لفهم الواقع الثقافي والاجتماعي العربي من خلال مقارنته بالحياة الغربية التي يرغب طه حسين في عقد الصلة بينها وبين الحياة الشرقية، وهذاالمشروع لا نجد له تصريحا واضحا إلا في الجزء الثالث، حينما يصبح عشقه للجامعة وللعلوم الحديثة

---

[48]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده،د. حمدي السكوت، ص: 51

والأساتذة المستشرقين بمثابة الفكاك من التقليد والعلوم الدينية وشيوخها الذين مجهم وحنق منهم كل الحنق.[49]

ثم رواية توفيق الحكيم "عودة الروح" هي أولى رواياته ظهرت عام 1933م واستقبلت استقبالا حماسيا مستحقا. والحكيم في هذه الرواية، وفي معظم رواياته، يهتم اهتماما كبيرا بالأوضاع الاجتماعية، وبمحاولة اصلاحها، ومن شأن دعاوى الاصلاح الاجتماعي في يد الكاتب غير الناضج أن تكون منزلقا للتعالم والمباشرة والجفاف، ولكن هذه القضايا في روايات "الحكيم" وبخاصة هنا وفي "يوميات نائب في الأرياف" تستحيل الى مصدر للامتاع والمرح والحيوية، بفضل حساسية المؤلف الفائقة لالتقاط مكامن السخرية في المواقف المختلفة.ويتجلى في "عودة الروح" تمكن "الحكيم" من آليات القص الناضج الذي يتدفق في سلاسة وعفوية، ويدفع القارئ منذ الصفحات القليلة الأولى الى قلب الأحداث كما ينجح الحكيم في استخدام الحوار استخداما مسرحيا يقدم به الشخصيات، بصفاتها النفسية والجسمية، وبأوضاعها ومكانتها في عيون بعضها البعض، فضلا عن تطوير الحدث والكشف عن مشاعرومواقف كل منها، وقد حذا "الحكيم" في لغة الحوار حذو"هيكل" فاستخدم اللغة المصرية الدارجة دون تردد، وتأصل بذلك هذاالأسلوب الذي سار فيه من بعد كتاب كثيرون من بينهم: "عبدالرحمن الشرقاوي" و"يوسف ادريس" وغيرهما.

وبالايجابيات الكثيرة التي أشرنا الى بعضها، والتي تعوض القارئ عن بعض الهنات التي لا يتسع المقام لذكرها، تمكنت الرواية في رأي بعض المستشرقين البريطانيين "نفيل باربر" من أن تقف على قدم المساواة مع نظائرها من الروايات الأوروبية.[50]

---

[49]. الغرب في الرواية العربية الحديثة، د. جمال مباركي ص: 120-121

[50]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده،د. حمدي السكوت، ص: 48

ولا مجال للشك هنا أن روايات عبد الرحمن الشرقاوي قد لعبت دورا هاما في تمثيل الواقعية في الأدب المصري العربي. إنه قد ألف روايات عديدة من أهمها:الأرض، والفلاح، والشوارع الخلفية ، وقلوب خالية. أما رواية "الأرض" فهي رواية واقعية صادقة نجحت في تمثيل المجتمع المصري الريفي.

ولا يختلف اثنان في الرواية "الأرض" أنها أفضل روايات الشرقاوي وأشهرها، قد اهتم فيها المؤلف بهموم الفلاحين في القرية المصرية وهي تعتبر أول عمل ينطق الفلاحين بلغتهم الحقيقية، ويقدمهم في صورة تفرض على القارئ أن يأخذهم مأخذ الجد، وأن يتعرف عليهم كأناس لهم مشاكلهم وهمومهم المضنية ولهم قيمهم ومثلهم التي يضحون بالكثير في سبيلها..... وقد استطاعت الرواية أن تقدم صورة حية صادقة لأسلوب الحياة في القرية من خلال حشد المؤلف لمئات التفاصيل الواقعية الدالة، ونجحت بذلك في أن تقدم القرية على أنها بطلة الرواية وليست فقط خلفية لمأساة وقعت فيها كما هوالحال في " زينب" أو في " الحرام" ليوسف ادريس مثلا". لكن الشرقاوي كان واقعا- فيما يبدو- تحت تأثير مبادئ النقد الماركسي، ومن ثم وقع في هنات كان في غنى عنها. ومن ذلك تقسيم القرية الى معسكرين متصارعين، معسكر العمدة وأتباعه ومن خلفهم الباشا، وهؤلاء لا نعرفهم الا من خلال آراء الفلاحين، أي المعسكر المعادي لهم. وبالتالي فمعسكر السلطة جاء كله شرا مطلقا. على حين جاء الفلاحون جميعا- تقريبا- أخياربطبيعتهم، حتى اذااختلفوا وتنازعوا أو خدعوا سرعان ما يعودون لمعدنهم الأصيل متعاونين متحابين. وبين المعسكرين يقف رجل الدين أو امام القرية موقفا مثيرا للسخط والسخرية أينماظهر، وهوبالطبع ضالع مع معسكرالسلطة.[51]

---

[51]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده،د. حمدي السكوت، ص: 80

وهنا نجد في رواية "مليم الأكبر" لعادل كامل الاتجاه الواقعي بصورة جلية وواضحة. فنشرعادل كامل هذه الرواية التي رفض المجمع اللغوي منحها الجائزة في عام 1944م، لأنها تحكى مألوف الحياة. وهي تصور الظلم الذي تتعوض له الطبقات الكادحة على يد الرأسماليين والاقطاعيين، وان أدى تعصب المؤلف هنا للطبقة الكادحة الى تقسيم الشخصيات الى أبيض وأسود، و له أسلوب تحاشاه تماما صديقه "نجيب محفوظ"، واستبدل به الموضوعية المطلقة في تصوير الطبقات أيا كان وضعها، ثم توقف عادل كامل عن اللكتابة مَطلقا حتى عام 1993م حين صدرت له رواية "الحل والربط".[52]

من الروائيين الواقعين البارزين يتجلى اسم عبدالحميد جودة السحار. هو أديب وروائي وكاتب قصة وسيناريست مصري،برز على ساحة الأدب كشمس مشرقة نيرة. كتب روايات عديدة لها جولات وصولات في الأدب العربي المصري.تمتازرواياته بالنزعة الواقعية اذ هو يصورتصوير المجتمع بأسلوب حي صادق.

لعل أهم رواياته "في قافلة الزمان" و"الشارع الجديد" . في كليهما يتناول "السحار" حياة أسرة في أجيال ثلاثة. ولعل "السحار" هو من عناه "نجيب محفوظ" حين ذكرأنه أخطأ مرة حين شرح للأصدقاء من ينتويه من كتابة رواية أجيال، على غرار ما فعل "طه حسين" في "شجرة البؤس"، ففوجئ "محفوظ" بعد فترة بأن أحد الأدباء قد نفذ الفكرة قبله ونشر رواية "أجيال" لعلها "في قافلة الزمان"، قبل أن ينشرمحفوظ ثلاثيته بأعوام، وكان درسا "لمحفوظ" تعلم منه ألا يطلع أحدا على أسرارعمله. وتهتم رواية "في قافلة الزمان" بالمجتمع المصري، وتنجح في تصويرها الحي للعادات والتقاليد التي كانت سائدة في القاهرة في مطلع القرن كما أن الأحداث السياسية التي تحتويها الرواية ترتبط ارتباطا وثيقا بالحدث. لكن المشكلة التي تعاني منها الرواية هي فقدان التوازن بين أجزائها المختلفة،

---

[52]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده،د. حمدي السكوت، ص: 73

والقارئ يحس بأن القصة "حب مصطفى" (وهو أحد أبناء الجيل الثالث) تكاد تسأثربالعمل كله. وفقدان التوازن هذا تعاني منه على نطاق واسع رواية "السحار" الأخرى "الشارع الجديد" فضلا عن أنها تفتقرالى التصويرالجيد للشخصيات التي لايكاد القارئ يذكرمنها أحدا بعد الفراغ من القراءة نتيجة لحشد عددهائل منها دون العناية برسمها بشكل ملائم (أب وأم وولدان أحدهما تزوج وله ستة أولاد ثم خمس بنات متزوجات وأزواجهن وأولادهن وعدد كبيرمن الأطفال، بالاضافة الى أقربائهم وأصدقائهم ومعارفهم وكل ذلك في مجلد واحد متوسط الحجم).[53]

نعتقد أنه قد توضح لنا أن الواقعية هي أكثر الاتجاهات الأدبية قوة وحضورا في الأدب ، والروايات ذات النزعة الواقعية لم تنقطع عن الظهور.

وقد سارت إلى جنبها نزعات أخرى مثل الرمزية والسوريالية وغيرها ولكن الواقعية لا يزال يمارسها الكتاب.أما ظهور هذه النزعة في الرواية العربية المصرية فالأرجح أنها ظهرت في الثلث الأول للقرن العشرين، فإن تاريخ ظهور دعاء الكروان هو سنة 1943م وهذه الرواية هي من الروايات الأولى التي تهتم بدراسة الواقع بشكل واقعي بعيد عن المسادرة في الأحلام والأخيلة.

وبالانتقال الى تلمس الثورة في الأدب العربي نجد أن للثورة مفهومين رئيسين أولهما ثورة الأدب على نفسه، خصوصا عندما يرى عقم الألوان الأدبية السائدة، أو ركودها وقصورها في التعبير عن اهتمامات العصر وثانيهما التعبير عن الثورة السياسية سواء في التمهيد لها، أو في متابعة خطوها في تحقيق أهدافها القومية والاجتماعية. وفي ما يتصل بالمفهوم الأول نرى أن الواقعية في أوائل هذاالقرن ثارت على أساليب الكلاسيكية، وعلى أساليب الرومانسية. وفي ما يتصل بالمفهوم الثاني نجد أن الواقعية العربية دعمت

---

[53]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده،د. حمدي السكوت، ص: 70-71

ثورة 1952م في مصر كما دعمت غيرها من الثورات في الوطن العربي سواء في التمهيد لولادتها كقصص نجيب محفوظ التي انتهت بالثلاثية فأومأت الى الثورة من بعيد، ومنها ما استل النقد كأسلوب ثوري كقصة "أرض النفاق" ومسرحية "وراء الستار" ليوسف السباعي الذي صور فيها مهازل الأحزاب السياسية والانتخابات والصحافة وغيرذلك. ومنها رواية "الأرض" لعبدالرحمن الشرقاوي، و"مسمارجحا" لعلي أحمد باكثير، وبعد الولادة شارك الأدب العربي في الثورة على الأوضاع القديمة منها رواية "أناالشعب" لمحمد فريد أبوحديد, و"الشارع الجديد" لعبدالحميد جودة السحار، و"ردقلبي" ليوسف السباعي، و"شئ في صدري" لاحسان عبدالقدوس، ومسرحية "الصفقة" لتوفيق الحكيم وغيرها. وهذه كلها صورت الواقع المصري كما كان قبل الثورة، لكن غيرها تناول أحداث ما بعد الثورة منها روايات "نادية" و"جفت الدموع" و"ليل له آخر" ليوسف السباعي، ورواية "السمان الخريف" لنجيب محفوظ، ورواية "لا شئ يهم" لإحسان عبدالقدوس، ورواية "أصابعنا التي تحترق" لسهيل ادريس، والملفت للنظر أن محصول الشعر الثوري بعد الولادة، كان أوفر من المحصول القصصي، في حين كان النقد متخلفا عن ركب القصة والشعر. ولكن كل ذلك النتاج لم يصل الى مستوى الأدب الهادف أوالواقعية الاشتراكية بمعناها الدقيق.[54]

أماالواقعية الغربية بنظرتها المتشائمة لم تستطع فرض نفسها على الأدب العربي الحديث ، فقد رسم أدبنا نهجا خاصا به استوحاه من الواقع العربي بمشكلاته الاجتماعية وقضاياه السياسية ، وإن كان بعض الأدباء قد تأثروا في بداية الأمر بالواقعيين الغربيين ومن هؤلاء "محمود تيمور" الذي تأثر بالواقعية الفرنسية حيث كانت أعماله القصصية لوحات لأوضاع اجتماعية غلب عليها شيءمن التخيل .أما الواقعية الحقيقية في أدبنا العربي

---

[54]. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، عبد المحس بدر طه ، ص :219

الحديث فقد تجلت عند الدكتور طه حسين في كتابه "المعذبون في الأرض" وقدعبر عن رفضه لمظاهر الحرمان والفقر مطالبا بالعدالة الاجتماعية والحقوق الإنسانية للفرد . وخير ما أثمرته الواقعية في أدبنا ما كتبه "توفيق الحكيم" في روايته (يوميات نائب في الأرياف) سنة 1937 قدم وصفا دقيقا لحياة الفلاحين في الريف المصري مستعرضا مظاهر الجهل والمرض والحرمان والذل بين أجيال من الإقطاعيين المستبدين وقد ترجمت هذه الرواية إلى أغلب لغات العالم وبذلك بلغ مرتبة سامية في سلم الأدب العالمي .كما ظهرت الواقعية في أدبنا في أعمال "يوسف إدريس" في روايته(الحرام) التي نالت رواجا واسعا وترجمت إلى لغات عالمية كثيرة . كما نلمح الواقعية عند الأديب "عبد الرحمان الشرقاوي" في روايته "الأرض" وكذلك الأديب "يحي حقي" في مجموعته القصصية (ماء وطين) .

الباب الثاني

الأدباء البارزون الذين أسهموا فى اثراء النزعة الواقعية

الفصل الأول: نجيب محفوظ ومساهمته فى النزعة الواقعية

الفصل الثاني: عبدالرحمن الشرقاوى ومساهمته فى النزعة الواقعية

الفصل الثالث: يوسف ادريس ومساهمته في النرعة الواقعية

الفصل الأول

نجيب محفوظ ومساهمته في الاتجاه الواقعي

الكتابة عن نجيب محفوظ هو أمر صعب بلاشك وكيف لا يكون . هو كاتب، روائي، مسرحي، ناقد، وأديب بارع وغيرها الكثير. لايمكن لي أن أتعرف على سائر الصفات المميزة في هذه العجالة.وقد اعترف النقاد والأدباء بأنه من أندر الشخصيات الفذة المتعددة الجوانب الكبيرة التي يزدان بها التاريخ الفكري الحديث، هو وليد العصر الذي شهد ثورات وتقلبات وصراعات مختلفة .

قد تناول الأدباء والنقاد كتاباته ومقالاته بأحسن قدر ممكن ولكن ابداع نجيب محفوظ مازال في حاجة إلى كثير من الدراسات الجادة التي تكشف عن زوايا كثيرة ماتزال مغلقة في أدبه الخصب نوعا.

ولد نجيب محفوظ عبدالعزيز السبيلجي في 11 من ديسمبر عام 1911م في حي الجمالية، حي عريق من أحياء القاهرة، في أسرة متوسطة محافظة، يسودها جو ديني ولكن ينقصها الجوالثقافي، وعاش طفولة عادية، وبدأ كما كانت العادة في جيله حياته الدراسية من الكتاب.

كتب الدكتور أحمد هيكل في كتابه دراسات أدبية:

"ولد نجيب محفوظ عبدالعزيز بالقاهرة في أسرة متوسطة سنة 1912م وكان ميلاده ونشأته بأعرق أحياء القاهرة الوطنية وأكثر شعبية بين العباسية والجمالية، وقد عاش البيئة الشعبية القاهرية الأصيلة وبخاصة في حي الجمالية، وعرف الكثير عن عاداتها وتقاليدها ومشكلاتها وهمومها فاتسعت بتلك المعايشة وانطباعاته ومعارفه وخرجت من الدائرة الضيقة – دائرة الأسرة التي تمثل شريحة صادقة التكوين من كيان الطبقة الوسطى

– الى دائرة أوسع وهي دائرة الحي الشعبي الذي تتمثل فيه خصائص تلك الطبقة وملامحها بصورة أوضح وأشمل وأصدق".[55]

التحق بكتاب الشيخ بحيري، ثم انتقل منه إلى مدرسة الحسينية الإبتدائية حيث تلقى دروسه الإبتدائية وبعد مدة يسيرة اهتدى إلى متعة القراءة في سن مبكرة وبدأت قراءاته بمطالعة الروايات البوليسية التي استمرت الى أوائل المرحلة الثانوية.

وبعد أن تقدم في عمره وبلغ سن المراهقة عثر على مصطفى لطفي منفلوطي وتأثر به كثيرا وكذلك قرأ في هذه المرحلة الجاحظ وأبا على القالي، وابن عبد ربه، واتجه بعد ذلك إلى قراءة الشعر وبخاصة أشعار أبي العلاء المعري والمتنبي وابن الرومي. والى جانب المنفلوطي تأثر بطه حسين وعباس محمود العقاد وسلامة موسى وابراهيم عبدالقادر المازني ومحمد حسين الهيكل وفي مرحلة متأخرة قليلا محمود تيمور وتوفيق الحكيم ويحى حقي ولكن من بين هؤلاء كان التأثير عليه كبيرا لثلاثة منهم . طه حسين والعقاد وسلامة موسى، ثم كان تأثير شخصية سلامة موسى أقوى وأشد من الجميع على فكره وأدبه وحياته. فسلامة موسى هو بمثابة الأب الروحي بالنسبة له، وإليه يعزو نجيب عشقه الاشتراكية والعلم الحديث. وهو نفسه يقول:

"لقد تعلمت من طه حسين ثورته الفكرية، كما أن طه حسين أعطاني نماذج مختلفة من في القصة، مثل الترجمة الذاتية في (الأيام)، وقصة الأجيال في "شجرة البؤس" ومن قراءة العقاد تعلمت الإيمان بقيم معينة، أولها قيمة الفن الأدبي كفن رفيع لا كوسيلة للتكسب في المناسبات، و ثانيها قيمة الحرية الفكرية في الديمقراطية، ومن قراءة (سارة) للعقاد

---

[55]. دراسات أدبية ، د، أحمد هيكل ، ص: 186

اكتشفت أول مثل للقصة التحليلية ومن سلامة موسى تعلمت الإيمان بالعلم والإشتراكية والتسامح الإنساني". [56]

ثم التحق بجامعة القاهرة واختار الفلسفة وواصل دراسته هناك ما بين 1930-1934م وفي عام 1934م تخرج في الجامعة وسجل اسمه للحصول على درجة الماجستير في موضوع "مفهوم الجمال في الفلسفةالإسلامية" بإشراف الشيخ مصطفى عبدالرزاق، ولكن لم يقدر له إكمال الماجستير في الفلسفة، هنا في الجامعة اتسع نطاق دراسته ونرى قائمة طويلة من الكتاب الكبار الأجانب الروس والألمان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم الذين تأثر بهم واستفاد منهم.ثم ترك نجيب محفوظ الدراسة الأكايمية في الفلسفة وآثر الوظيفة والكتابة، ومنذ أن تخرج في الجامعة عام 1934م إلى أن احيل على المعاش عام 1971م واستمر مرتبطا بالوظائف الحكومية المختلفة تحت حكومات مختلفة، ومن بعض الوظائف التي شغلتها وظيفة سكرتير برلماني لوزير الأوقاف وفي عام 1953م عين رقيبا على الأفلام بمصلحة الفنون وفي عام 1954م عين مديرا للرقابة الفنية وفي عام 1960م عين رئيسا لمجلس إدارة السينما، فمستشارا فنيا لها وفي عام 1963م عين رئيسا للجنة القراءة بالمؤسسة العامة للسينما والتلفزيون. وفي عام 1965م صدرقرار جمهوري بتعيينه عضوا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وفي عام 1968م عين مستشارا لوزير الثقافة، د.عكاشة، وهو آخر منصب شغله حتى الستين، وفي عام 1971م أحيل الى المعاش وانضم الى هيئة تحريرالأهرام.

ظل نجيب محفوظ يكتب منذ بداية حياته بدون فتور وتوان ويقيم صرحه الأدبي بجد واجتهاد وعاش مغمورا خاملا في العالم الأدبي زمنا غير قليل ثم اهتدى النقاد والأدباء إلى نبوغه وألمعيته واعترفت بمكانته الأوساط الثقافية والأدبية عبر العالم، فجاءت اليه

---

[56]. القصة وتطورها في الأدب المصري الحديث، ص: 235

الجوائز والوسامات القيمة وحتى جاءت جائزة نوبل تتويجا لجهوده وخدماته الأدبية الجليلة.

مسيرته الأدبية

قد بدأ نجيب محفوظ حياته الفنية بالاتجاه التاريخي بترجمة كتاب مصرالفرعونية، وذلك بأن الفترة من 1939م حتى 1952م، كانت تمثل العصر الذهبي للرواية التاريخية، وقد وجد نجيب محفوظ نشاطا واضحا لدى من سبقوه في اختيار التاريخ موضوعا لرواياتهم يطرحون من خلاله ما يرونه من قيم ويسقطون عليه أحيانا بعض واقعهم.

وثمة سبب آخر هو أن الكاتب انساق الى التاريخ الفرعوني يستمد منه مادته بدافع من قراءاته واهتماماته بتاريخ مصر، والدليل على ذلك ترجمته لكتاب "مصر القديمة" الذي نشره في وقت مبكرعام 1931م، وليس من شك في أنه استفاد من هذاالكتاب في بعض رواياته الفرعونية الثلاث.

يقول الدكتور أحمد هيكل: " قد بدأ حياته الفنية بالترجمة فنقل عن الانجليزية كتاب "مصر الفرعونية" ويبدو أن اشتغاله بتاريخ مصر القديمة خلال ترجمة هذاالكتاب دفعه إلى كتابة قصص تاريخية ثم روايات تاريخية، وأول أعماله القصصية مجموعة "همس الجنون" عام 1938م، ثم تبعت تلك المجموعة ثلاث روايات تاريخية تدور جميعا حول التاريخ الفرعوني، وهي " عبث الأقدار" سنة 1939م و " رادوبيس" سنة 1943م و"كفاح طيبة" سنة 1944م ". [57]

---

[57]. الأدب القصصي والمسرحي في مصر(من أعقاب ثورة 1919 الى قيام الحرب الكبرى الثانية)، الدكتور أحمد هيكل، ص: 92

كان نجيب محفوظ كاتب مكثر غزير الانتاج، وحسب معلوماتي إنه ألف خمس وثلاثين رواية وخمس عشرة مجموعة للقصص القصيرة، بالاضافة إلى خمس مسرحيات وثلاث مجموعات للمقالات الصحفية قام بجمعها وتحريرها فتحى العشرى تحت ثلاث عناوين رئيسية، حول الدين والديمقراطية وحول الثقافة والتعليم وحول الشباب والحرية وكتاب مترجم.

كتب د. سليمان ابراهيم العسكري رئيس تحرير مجلة العربي في افتتاحية احدى مجلاتها: " لقد قدم نجيب محفوظ للأدب العربي الحديث أكثر من 35 رواية ونحو 15 مجموعة قصصية وعددا من سيناريوهات الأفلام العربية الجميلة، وعددا أكبر من مقالات الرأي، وما يصعب احصاؤه من الأحاديث المضيئة لبعض جوانب ابداعه وآرائه في شتى المجالات التي تعنيه وتعنى الناس. ولم ينقطع في ذلك كله – وحتى اليوم– عن الوجود بين الناس خاصة الأصدقاء والأدباء. ومازالت ندواته عامرة على ضفاف النيل وبين جوانح القاهرة. وهذا كله شئ كثير لا يمكن تفسيره وتبريره بطول عمر الرجل الكبير، لكن التفسير والتبرير والتقدير الأعمق هو لعنصر احترام الوقت، احتراما يوشك برغم قياسه بساعات البشر أن يكون احتراما روحيا خالصا كأمانة أودعهاالله بين يدى الإنسان".[58]

وممالا شك فيه أن نجيب محفوظ يترأس المسرح الروائي العربي ويدقق مظاهرالمجتمع بنظرة دقيقة. ويصور مظاهر البؤس والحرمان والفاقة التي تزرح تحتها المجتمع . وهذه كل سمات بارزة لروايات نجيب محفوظ نجدها بصورة واضحة ولكن تجنبا من الطول نكتفي هنا ما كتبه الدكتور حمدي السكوت عن روايات نجيب محفوظ : " فبتصوير القضايا الإنسانية والإجتماعية الكبيرة، وبتقديم متحف كبير من الشخصيات العملاقة التي

. [58]. مجلة العربي، العدد، 577 ، 2006, ص: 10

أصبحت كشخصيات شكبير – محفوظة في ذاكرة القارئ وبالقدرة البارعة على تصوير مئات المواقف التغايرة وبالإحاطة الواسعة العميقة بآليات القص وأساليبه الفنية، وبالتمكن المذهل من المزج بين المحلي والعالمي، وبالحساسية المرهفة لالتقاط التفاصيل الدالة وذات المغزى سواء في داخل النفس البشرية أو في البيئة المحيطة بها، وبالجد والجهد والموهبة الفذة وبالتفرغ الكامل للفن الروائي، استطاع نجيب محفوظ أن يتربع على عرش الرواية العربية".[59]

قد جرت العادة بتقسيم أدب نجيب محفوظ تقسيمات معروفة من الناحية الموضوعية والفنية، وبصورة عامة يقسم النقاد والمؤرخون حياة محفوظ الأدبية في ثلاث مراحل، بينما هناك الآخرون الذين يوسعون ذلك الى خمس، أو يلجئون إلى تقسيمات أخرى.

أما التقسيم من ناحية الموضوع فهي تنقسم الى ثلاثة مراحل:

1- فالمرحلة الأولى، هي المرحلة التاريخية، وهي المرحلة التي قدم فيها رواياته التاريخية الثلاث: "عبث الأقدار" و " رادوبيس" وكفاح طيبة".

2-ويتلوها المرحلة الاجتماعية السياسية، وهي المرحلة التي انتقل فيها الكاتب إلى مجتمع مصر الحديثة، ثم إنه يصنف هذه المرحلة في شقين، يتعلق الشق الأول بالمجتمع المصري وسياسته من ثورة 19 إلى ما قبل ثورة 52. بينما يتعلق الثاني بالمجتمع المصري وسياسته أو أطرافا من هذا المجتمع وجوانب من سياسته بعد ثورة 52. ويذكر ضمن الشق الأول من الروايات " القاهرة الجديدة" و" خان الخليلي" و" زقاق المدق" و"السراب" و"بداية ونهاية" و" الثلاثية المتكونة من "بين

. الرواية العربية ببلوجرافيا ومدخل نقده المجلد الأول ، حمدي السكوت. ص: 48.

القصرين" و"قصر الشوق" و"السكرية" . أما الشق الثاني من هذه المرحلة فيتمثل في روايات "اللص والكلاب" و"السمان والخريف" و"ثرثرة فوق النيل" و"ميرامار".

وكذلك يأتي تحت هذه المرحلة كثير من قصصه القصيرة التي ضمتها مجموعتاه: "خمار القط الأسود" و"تحت المظلة" التي تحوى عددا من المسرحيات القصيرة والحواريات التي تمثل أيضا هذه المرحلة.

3- وتأتي بعدها المرحلة الثالثة، المرحلة النفسية الميتافيزيقية، وهي مرحلة بدت بواكيرها مع المجموعة القصصية القصيرة الأولى لنجيب محفوظ، تلك المجموعة التي ظهرت سنة 1938 والتي تحمل اسم "همس الجنون" ، ثم نمت من جديد خلال المرحلة السياسية والاجتماعية، وبخاصة خلال الشق الثاني من تلك المرحلة أي بعد ثورة يوليو وبصفة أخص بعد نكسة الخامس من حزيران سنة 1967. ويمكن أن نمثل لتلك المرحلة "بأولاد حارتنا" التي ظهرت أجزاء منها سنة 1959 مسلسلة في جريدة الأهرام، ثم جمعت كاملة في كتاب طبع سنة 1967. كذلك يمكن أن تمثل تلك المرحلة روايتا " الطريق" و"الشحاذ". كما تمثلها بعض القصص القصيرة في مجموعة "دنياالله" ، وتمثلها أيضا قصص عديدة في مجموعاته السابقة مثل "خمار القط الأسود" و"تحت المظلة" .

وأما من الناحية الفنية فكذلك يقسم المراحل المذكورة في ثلاث مراحل رئيسية، فيرى أنه يمكن أن نقول أن المرحلة الأولى فنيا كانت مرحلة رومانسية تعتمد على الخيال، وتتعاطف ابتداء مع التاريخ . وإن حاولت أن تفيد الواقع من خلال هذاالخلق الرومانسي.

أما المرحلة الثانية، وهي المرحلة الاجتماعية السياسية، بينما كانت في شقها الأول مرحلة واقعية، تعني ابتداء برسم الواقع، وتقدمه بطريقة طبيعية كل ما فيها مسوغ ومعقول، حيث تنمو الأحداث وتتطور وفقا لمبررات منطقية، وحيث تتحرك الرواية دائما في نمو طبيعي يجعل القارئ يقول أبدا: ثم ماذا؟ ولا يقول أبدا: كيف حدث هذا؟ أما الشق الثاني

فيسميه بالمرحلة التعبيرية، التي ترك فيها الكاتب حدود المدرسة الواقعية التقليدية متجاوزا إلى "تقديم الأحداث من خلال وجدان الأبطال وعلى ألسنتهم أحيانا".

وأما المرحلة الثالثة فهي التي تتميز بالنزعة الرمزية ويتخلى فيها الفنان عما عهد به في السابق من واقعية وتعبيرية ويلجأ إلى طريقة الرمز ولف الأفكار في أردية كثيفة وإلباسها أقنعة ساترة، تاركا لذكاء القارئ ان يفهم ما يشاء ويستخرج ما يريد وأحيانا مورطه في الحيرة والتخبط والتخليط.[60]

بعد كتابة رواياته التاريخية الثلاث " عبث الأقدار" و "رادوبيس" و "كفاح طيبة" ظهرت رواية " القاهرة الجديدة" في عام 1945م وبظهورها بدأت المرحلة الجديدة ... المرحلة الاجتماعية في أدب نجيب محفوظ.

يقول الدكتور صالح جواد في كتابه "تاريخ الأدب العربي الحديث"

"عدل نجيب محفوظ عن الاتجاه التاريخي في رواياته واتجه إلى الاطار المصري، مصورا الحياة المصرية في القاهرة الجديدة، وخان الخليلي، وزقاق المدق،والسراب، وبداية ونهاية،ثم نشر سنة 1956م قصته الأجيال الثلاثة وهي رواية بثلاثة مجلدات هي على التعاقب "بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكرية".[61]

هنا ينتقل الكاتب من الجو التاريخي إلى الواقع في صورته المباشرة وتبدأ مرحلة الواقعية موضوعا وإطارا. باستثناء رواية "السراب" التي تعالج موضوع المشاكل الجنسية للبطل والراوي، كامل رؤبه لاظ،الذي ينتمي الى الطبقة المتوسطة العليا.

---

[60]. دراسات أدبية ، د. أحمد هيكل ، ص:من 190 الى 193

[61]. تاريخ الأدب العربي الحديث، د. صالح جواد، ص: 55

قدم محفوظ بعد "القاهرة الجديدة" سلسلة من نحو سبع روايات اجتماعية " خان الخليلي" عام 1946م و "زقاق المدق" عام 1947م و"بداية ونهاية" عام 1949م وكان مسك ختامها الثلاثية، " بين القصرين" عام 1956م و"قصر الشوق" عام 1957م و"السكرية" عام 1957م . وهي تهتم جميعا بهموم الطبقة المتوسطة الصغيرة وقضاياها وشئونها ومشاكلها ومعاناتها وتطلعاتها ومطامحها وتضحياتها وانحرافاتها وانزلاقاتها وروابطها وتركيبها الاجتماعي وقيمها ومثلها وتسجل تاريخ مصر في تطوراتها السياسية والثقافية والنفسية والأخلاقية والفكرية والروحية وفي صراعها بين القديم والحديث والماضي والحاضر والقيم الشرقية الإسلامية المحلية القديمة والقيم الغربية الوافدة الأجنبية الغازية، بين العلم والدين المادية والمثالية والسماء والأرض.

بعد الثلاثية توقف نجيب محفوظ من الكتابة ولا شك في أنه كان أمرا محيرا وخاصة بالنسبة لكاتب معروف بغزارة الانتاج. ذهب النقاد في تفسير السكوت مذاهب شتى وانهالوا عليه بالأسئلة يسألونه عن سبب التوقف فيجيبهم أنه يشعر أن المجتمع الذي كان يكتب عنه قد تغير بين عشية وضحاها وأن كثيرا من العيوب والسوآت التي كانت تحرك قلمه قد أصلحها النظام الجديد أو..... ماتت شهوة الكتابة، كانت لدى موضوعات ولكن الرغبة في الكتابة ماتت.

بعد السكوت هذه السنوات الخمس كانت "أولاد حارتنا" 1957م رواية تختلف عن سابقاتها اختلافا بينا، تختلف موضوعا وشكلا، فكرا أو تكنيكا موضوعها فكري وطريقة معالجته رمزية وهي رواية أقامت الدنيا وأقعدت وأثارت ضوضاء شديدة بين الأوساط الدينية.

يقول الأستاذ واضح رشيد الندوي في " أعلام الأدب العربي في العصر الحديث":

بعد ثورة 1952م ، تغيرقلم الكاتب ، فأصبح يصور مصر في المستقبل، بدأ الكاتب هذه المرحلة بكتابة قصة "أولاد حارتنا" 1967م، ويلجأ الكاتب في هذه القصةإلى

الرموزفيرمزبالأولاد شعب مصر،وحارتنا مصر،ويشير فيها الى صراع بين القديم والجديد، وبين العلم والاصلاح وبين القهر والخير الاجتماعي". [62]

ظل نجيب محفوظ بعد أن كسر سكوته يقدم انتاجاته المنوعة باستمرار وتبعت "أولاد حارتنا" "اللص والكلاب" عام 1962م و "السمان والخريف" عام 1962م و "دنياالله" عام 1963م و "الطريق" عام 1964م و"بيت سئ السمعة" عام 1965م و"الشحاذ" عام 1965م وعبر خلال هذه الروايات والقصص القصيرة عن مواقفه الفكرية والسياسية بأشكال ورؤي فنية جديدة.

وخلال عرض هذه الروايات والقصص قد لزم نجيب محفوظ الأساليب وطرق العرض والمعالجة فينتقل بين الرومانسية والواقعية والرمزية كما يتفنن في اتخاذالموضوعات من تاريخية واجتماعية وميتافيزيقية . أما مبادئه وهمومه الفكرية فيمكن حصرها تحت عناوين مثل الانسانية والإشتراكية والعدالة الاجتماعية الحرية والتسامح والإيمان بالعلم والتكنولوجيا، والصراع بين القديم والحديث والعمل بكل ما هو مفيد للإنسان والإنسانية ومقاومة القوى التي تحاول خنق حريات الإنسانية الجائزة وقتلها، كما المنابع والمصادر التي يسترفدان منها نجيب محفوظ يتحدث بشكل عام عن الطبقة المتوسطة الصغيرة.

---

[62]. أعلام الأدب العربي في العصر الحديث لواضح رشيد الندوي، ص: 181

تعريف وجيز على رواياته الواقعية

وبما أن الموضوع الذي نعالجه هو عنصرالواقعية في روايات نجيب محفوظ ، فيجدر بنا أن نستعرض الروايات الواقعية التي تصور ما ذا يحدث في مجتمعاتنا من عناصر سيئة و صالحة تتمثل العناصر الواقعية الحقيقية المختلفة . ومن بين الروايات التي تقدم أمامنا نموذجا واقعيا " القاهرة الجديدة" و "خان الخليلي" و"زقاق المدق" و "بداية ونهاية" و "ثلاثية" متكونة من "بين القصرين" و "قصرالشوق" و "السكرية".

يكتب الدكتورمحمد زكي العشماوي في كتابه "أعلام الأدب العربي الحديث واتجاتهم الفنية":

نجيب محفوظ لا يحاول تجاهل الواقع اليومي، ونعنى به ما يجري أمام أعيننا في حياتنا اليومية بل يلتقطه بعين يقظة، قادرة على تحقيق الصدق فيما يبسطه من تفاصيل،يلاحظها بمنطقه وفكره.

فالخوض في الواقع، ورؤية التفاصيل بعين كاشفة، والاقتراب من الحياة اليومية، واتخاذ أسلوب المعالجة البسيطة والمباشرة، والمتسمة بالتركيز الحاد على الجزئيات الخارجية، واتخاذها وسيلة لإضاءة الموقف وكشف كل أبعاده هو أسلوب نجيب محفوظ. وهو أسلوب أشبه بأسلوب همنجواى في المعالجة ..... ذلك الأسلوب الذي يأتي عن الغوص في المسارب الخلفية للموقف أو الشخصية. ونجيب محفوظ ينتقي التفاصيل التي يلتقطها، ويختار منها ما يستطيع أن يحدد الملمح أو يجسد الموقف، أوينشر الإحساس بالجوالعام لمشهد من المشاهد، أو لتحديد طبيعة الزمان والمكان... هذا الإنتقاء هو الذي يحقق الفن، وهو الذي يكثف الرؤية ويبلورها في لوحة منها الإحساس والمعنى.

وثمة ملمح آخر في اتجاهه الاجتماعي الواقعي، وهو المعاني الكلية التي يحملها الحدث أو الشخصية، فثمة أبعاد تتجاوز المحلي والجزئى للتعبير عن سمات اجتماعية أو انسانية

عامة أو سياسية، أو للتعبير عن سخرية القدر أو للدلالة بأن هناك قوى أكبر من قوى الإنسان هي التي تدبر الأمر وتقدره: أو بمعنى آخر تقدرون فتضحك الأقدار. هذا ما نطلق عليه كلمة الشظايا التي يصنعها الكاتب على الورق، وهي شظايا لتجربة الإنسان المشحونة بالغامض والمجهول. ومهما تنقلت من خان الخليلي، الى القاهرة الجديدة، إلى زقاق المدق، وغيرها من أعمال تلك المرحلة فستجد هذه السمات بارزة في معالجة الكاتب وأسلوبه وطرحه لرؤاه وشخوصه". [63]

يقول رجاء نقاش :

" إن نجيب محفوظ لا يصور الحياة بمنظار المؤرخ ولكنه مؤرخ وفنان في نفس الوقت المؤرخ فيه يتأثر ويهتم بتطور المجتمع وإنتقاله من أوضاع قديمة إلى أوضاع جديدة ولو إكتفى نجيب محفوظ بهذه النظرة لما كان هناك دافع للحزن أو الاحساس بمأساة ما، ولكن الفنان فيه وهو الأقوى والاعمق يهتم بآلام "الانسان المفرد" إنه يحسب حسابا كبيرا للثمن الذي يتحقق به التطور وهو ثمن يدفعه لانسان وخاصة هؤلاء الذين يسبقون غيرهم في الطريق الى المستقبل وإلى مواقف جديدة وتقاليد جديدة وهؤلاء المثقفون بالذات هم الذين يشقون الطريق الى المستقبل – إنهم العلاقات الاولى التي تدل على مستقبل مختلف تماما عن الواقع القائم وهم لذلك نباتات شاذة وحيدة تظهر ثم تذبل وتموت إنهم يمثلون التجربة الأولى للتطور وهم يدفعون ثمن هذه التجربة المريرة وهذه هى المأساة كما صورها نجيب في حياة هذاالنوع من المثقفين إنها مأساة التناقض وبين تطور المجتمع والثمن المرير الذي يدفعه الفرد لهذاالتطور". [64]

---

[63]. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية، الدكتور محمد زكي العشماوي ,ص:349-348

[64]. أدباء معاصرون ، رجاء نقاش , ص : 162- 163

خان الخليلي

فإذا عدنا إلى خان الخليلي وهي من باكورة أعماله في هذه المرحلة، فسنجد أن أهم الركائز التي يعتمد عليها الكاتب هي دقة التصوير لحياة أسرة متوسطة في أثناء الحرب العالمية الثانية بطريقة تهتم بإبراز القسمات والملامح الجزئية، والتقاط الواقع بأنامل ورعة والارتفاع بها إلى مستوى الفن، والتعبيرعن سخرية الأقدار التي قوضت حب أحمد عاكف، الرجل الذي يتحمل المسؤلية أسرة يعولها ويتولى شئونها حتى جاوز الأربعين. انتزعت الاقدار هذاالحب الذي هز قلب الرجل وشغله وأحياه، بعد أن أجبرته الأيام والهموم والمسئوليات على أن تعيش منطويا معزولا مترددا، وخائفا .... وعلى الرغم من فارق السن الكبير بين فتاة في المدرسة ورجل جاوز الأربعين أنهكته مسئولياته وهمومه، فقد كان قلب الرجل يهتز لهذه الفتاة يلمح وجه هذه الفتاة حتى ينطلق إلى قلبها كالرصاصة، دون تردد أو حذر، وإذا بالفتى يصبح محبوبا بين لحظة وأخرى، وأخوه ينظر إليه في دهشة وشعور بالمرارة والياس.

ويلعب القدر لعبته العجيبة والمفاجئة، فبعد أن يكون الحب قد استقر في قلب الفتى إذا هو يصاب بداء في صدره، ويستشرى به المرض، ويعانى من آلامه ما يعانى، وإذا بفتاته تخشى منه العدوى فتبتعد عنه ولا تراه. وتنتهى حياة الشاب قبل أن يتحقق له ما يرجوه، وتقدرون فتضحك الأقدار. وليست القضية هنا في سخرية الأقدار وحدها، وإنما المسألة في عناصر التكوين في شخصية الأخوين ثم في النهاية التي انتهيا اليها.... كيف عبر عنها الكاتب..... إن وراء هذاالعجز المفزع كاتبا لا يجري وراء سلبيات الحياة . بل

هي حركة نمو وتتطور من الداخل، وموج يتلاطم في تيارالشعور وهنا تكون القيمة ... .. قيمة حيوية العرض ونموه ".[65]

زقاق المدق

تتشابه رواية زقاق المدق مع خان الخليلي في أنهما يقعان في زمن الحرب العالمية، وهو زمن يقوم بدور واضح في رواية زقاق المدق – وهو زمن يتعرض فيه المجتمع لنوع من الاختلال أو الاهتزاز، ويعترى الناس إحساس بالقلق والخوف، ويؤدي إلى سلوك شاذ أحيانا ، وإلى أعمال انتهازية يحاولون بها استغلال زمن الحرب لتعويض ما بهم، أو لتحسين حالتهم المادية . ولكن يبقى في النهاية تأثير الحرب مؤثرا في بنية المجتمع، وفيما يتعرض له من اضطرابات يدفع الناس ثمنها من جهدهم وصحتهم أحيانا، ومن مبادئهم الذين كانوا يؤمنون بها ويحرصون عليها أحيانا أخرى. وموضوع القيم شئ هام لأنه هو الذي يكشف نوعية ارتباط الناس بعصرهم، فالقيم هي محور الشد والجذب والصراع بين أفراد المجتمع، وهي العنصر المحدد لنشاطهم وتحركهم وسلوكهم في الحياة.

والنقطة الأخرى الهامة في زقاق المدق براعة الكاتب في بعث حياة شبه متكاملة بكل عناصرها وقواها وأشخاصها، والنفاذ إلى أسرارها وتحديد ملامح شخصياتها نابضة وشاخصة للزقاق. حتى لكأنه جزء من أمكنه تعرفها وتعتادها وتعيش فيها، وتتصل بناسها وتتعامل معهم. لقد وهب الحياة للمكان حين نجح في تكوين قسماته، فإذا هو يبدو مجسدا شاخصا أمامك.

---

[65]. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاها تهم الفنية، الدكتور محد زكي العشما وي ,ص:350

أما عالم "زقاق المدق" فهو عالم يصور مجتمعا في زمان ومكان معينين، عالم بأسره، عالم يدرك عيوبه، ويحس الحاجة الملحة إلى تغييرها... عالم من الناس والأمل ، من الحب والكراهية، من الطموح والهزيمة، من الجنون والتعقل، يضطرب بعواطف الناس ومشكلاتهم التي يواجهونها في حياتهم اليومية، وبراعة الكاتب هي في التقاط هذه الصور، ووضعها في شبكة من الخيوط متشابكة ومتكاملة.

يقول أنيس المقدسي في كتابه "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة :

" زقاق المدق" اسم حارة أو حي صغير من أحياء القاهرة القديمة. يصور الكاتب هذاالحي تصويرا دقيقا، ويصف لنا بنظر ثاقب وروح فكهة، سكانه وما لكل منهم من طبيعة واسلوب في المعيشة، ويجيد في تحليل شخصياتهم ووصف تصرفاتهم واحوالهم. ويجعل من سرد حوادثهم قصة ممتعة وعرضا واقعيا للحياة الاجتماعية في هذه البيئة من مدينة القاهرة.[66]

بداية ونهاية

أما رواية "بداية ونهاية" فهي تروي قصة أسرة مصرية، تعكس حياة طبقة فقيرة، وتنهض فيها الأم بتربية أولادها ورعايتهم متعرضة لمآس عديدة، ومعاناة، وكفاح دؤب، وتبقى حياة الأسرة تتناوبها حالات من الأمل واليأس، والغثيان، والاضطراب والتطلع ، والنزق، والثورة، ونكران الواقع، والصدام المتصل بين الممكن والمتاح، وعبثا تحاول الأسرة السعى الى الطمأنينة والاستقرار والدعة.

---

[66]. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، أنيس المقدسي، ص: 520

والرواية تعالج هذا العالم الملئ بالعقبات والناشئ عن أوضاع اجتماعية مزمنة وقاهرة ومحركة للأحداث وبانية لها. وقد نجح محفوظ في جمع هذا الشتات في نسيج متكامل، غير أن أبرز ما في القصة كلها أن هذه الأسرة بكل أوضاعها وظروفها وتحركها قد أكدت أن الحياة الاجتماعية تجري عمياء آلية منسوجة من ترديد راسخ في بيئتنا الاجتماعية، وفي حركة الأحداث اليومية والأفكار والأحاسيس المغلوبة على أمرها أمام تيار الحياة الذي يمتلئ باللامبالاة والقسوة التي تحمل الفرد على الخضوع لأشياء مفروضة، وليست من صنع يده فيلجأ إلى أي شئ حتى لو كان انحرافا لكي يستطيع التلاؤم والبقاء.

وهكذا يعمق نجيب محفوظ الإحساس الذي يعتصر المجتمع، وتأثير ذلك على شريحة منه وهي الأسرة التي يتناولها بالعرض والتفصيل.

الثلاثية

تحظى ثلاثية نجيب محفوظ بمكانة خاصة في تاريخ الرواية العربية إذ تعتبر أنضج عمل روائي عربي في لحظة نشره عام 1956م، 1957م وهي ذروة انجاز محفوظ تأخر نشره أربع سنوات تقريبا وهي كانت تنشر في مجلة "الرسالة الجديدة" بدءا من عام 1954م.

تتألف الثلاثية من ثلاثة أعمال متدرجة تاريخيا هي "بين القصرين" التي ينحصر تاريخ وقائعها وأحداثها بزمن معين، ومرحلة تاريخية محددة، حيث تبدأ بتولى الملك فؤاد للسلطة، وتنتهى كذلك بحدث هام هو عودة سعد زغلول من منفاه ومظاهرات انتصار ثورة 1919م . كما تنتهى بحدث روائي خطير هو قتل فهمى ابن السيد أحمد عبد الجواد. وفهمى هوالفتى المناضل الوطنى، والمكافح ضد قوى الاستعمار والسلطة. وتنحصر أحداثها بين عامى 1917، 1919 وعام 1927. أما "السكرية" وهي الجزء الثالث والأخير

من هذاالعمل الكبير، فتبدأ بخطاب النحاس في مؤتمر وفدى ثم تنتهى باعتقالات سياسية للأخوان المسلمين والشيوعين في أثناء الحرب العالمية الثانية. وتقع أحداث السكرية ما بين عامي 1935، 1944.

يقول أنيس المقدسي في كتابه " الفنون الأدبية وأعلامها" :

"أما ثلاثية نجيب محفوظ فمجموعة من ثلاث روايات وهي في الحقيقة ثلاثة أجزاء لرواية واحدة تمتد وقائعها عن سنة 1917م حتى سنة 1944م وفيها يتجلى لنا ما حدث من تطور في الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر.

والأولى من هذه الروايات الثلاث هي "بين القصرين" وهو اسم يطلق على شارع في بعض مناطق القاهرة القديمة. نرى هناك بيتا تقطنه عائلة من تلك الأسر التجارية المتوسطة مؤلفة من والد هو أحمد عبد الجواد، ووالدة، وخمسة أولاد. ثلاثة صبيان وابنتان – ويعيش الجميع في جو تقليدي قديم – والد انانى صارم له القول الفصل في كل شئ، ولا يعنى بغير ما يروقه ويشبع شهواته . وام مسكينة خاضعة لجبروت زوجها طيبة القلب ولكنها كثيرة التعلق بالخرافات والاوهام. واولاد مختلفوالنزعات ولكنهم مسيرون بارادة والدهم المستبد، وتجئ الثورة المصرية سنة 1919 فتدفع أحدهم برغم ارادة والده، الى التحاق بها والاستشهاد في حومتها.

والرواية الثانية "قصرالشوق" وهو اسم الشارع الذي يقع فيه بيت ياسين اكبر اولاد أحمد عبد الجواد وتجرى حوادثها بين سنة 1924 وسنة 1927. في هذه الرواية نرى الوالد قد خفت وطأة استبداده، واحذت العائلة تتنفس الصعداء في شبه جومن الحرية وتبرز فيها شخصية كمال الابن الاصغر الذي نال شهادة الباكالوريا واصبح ذا وعي سياسي وفكري. وهو يمثل اليقظة الجديدة التي حركت نفوس الجيل المتعلم وقد تسربت اليها من الأفكار مالم تعهده من قبل . وهكذا خرج عن نطاق تقاليده واندفع في سبل قومية وروحية جديدة.

ثم تأتي "السكرية" وهي حارة كانت تقيم فيها خديجة ابنة احمد عبد الجواد مع زوجها وأولادها. وهذه الرواية تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الاجتماعي والفكري الذي حدث في الطبقات المتوسطة من المجتمع المصري. فالمخترعات الحديثة قد أخذت تعم كل مكان . ولم يعد النشء يرضى الحياة التي كان آباؤه أو اجداده يعيشونها اذ قد ترقى علميا فحصل على الشهادات الجامعية. واستنار بنور الحضارة العصرية سواء في ذلك الشبان منهم والشابات. وكان من ذلك ان اتجهوا في تفكيرهم اتجاهات مختلفة وسلكوا في معتقداتهم سبلا متباينة. [67]

ومن القضايا الإنسانية العديدة، التي يتناولها هذا العمل الكبيرقضية الإنسان والزمن، من خلال تأثير الزمن على أسرة أحمد عبدالجواد، والنجاح الفائق في تصوير ذلك تصويرا ماديا فنيا صادقا، إن مجرد نقل أثاث الدور العلوي الذي كان يسكنه أحمد عبد الجواد في "بين القصرين" إلى الدور الأرضى في "السكرية" لأن قلب هذاالأب لم يعد يقوى على ارتقاء السلم العالي، أو مجرد المقارنة بين مجلس القهوة في "بين القصرين" والمجلس نفسه في "السكرية" وهذان موقفان من عشرات المواقف يدفعنا إلى الإحساس بما يفعله الزمن بالإنسان. وينقل نجيب محفوظ بذلك هذاالعمل الشديد المحلية إلى عمل إنساني عالمي بأدق ما تحويه الكلمة من معنى، إذ إن ما حدث لأسرة أحمد عبد الجواد- بفعل الزمن – هو ما يحدث لكل أسرة بشرية، في أي عصر وفي أي مجتمع، فالأسرة التي كانت في "بين القصرين" تضج بالحيوية والمرح والانغماس في الحياة إلى الأذهان. يحيط بها في "السكرية" (آخر أجزاء "الثلاثية") جو مشحون بالضعف والصمت والوحدة وأعراض المرض ونذرالفناء. وحين نفرغ من العمل يكون أفراد متفاوتوالأهمية في كل جيلٍ من أجيال أسرة عبد الجواد وأصهارها ومعارفها قد غادروا الحياة ، عبدالجواد نفسه وأمينة وفهمى وإبراهيم زوج عائشة التي أصبحت حطاما ونعيمة ابنتها وولدها.

---

[67]. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، أنيس القدسي، ص: 521, 522

يقول رجاء نفاش: "هل نجد في الأدب العربي المعاصرعملا أكثر شموخا وعمقا وجمالا من ثلاثية نجيب محفوظ التي بلغت حوالي صفحة من الأدب الروائي الرفيع وصورت المجتمع والإنسان في مصر أعمق تصوير وأجمل تصوير؟

إن هذه الثلاثية في حساب النقد النزيه والدراسة الأمنية المخلصة هي "الذروة" في فن الرواية العربية المعاصرة، ومن "معطف" هذه الثلاثية العظيمة خرج الكثيرون من الروائيين البارزين الآن في الوطن العربي كله مثل: عبدالرحمن منيف "السعودية" وحنا مينا "سوريا" والطاهر وطار "الجزائر" والطاهر بن جلون "المعزب".[68]

ويقول الأستاذ محمود أمين العالم:

" إنها في الحقيقة تتويج لمرحلة كاملة من الإبداع الفني، والتأمل الفكري، والاجتماعي في حياة نجيب محفوظ،إنها تتويج لمرحلة كاملة، وهي كذلك استشراف لمرحلة جديدة، ولكنها رغم هذا تحمل في بناءها الفنى والفكري طابع الجديد الدائم لأنها تعبر عن شئ جوهري في حياة الإنسان.....

إنها تعبر عن الصراع والتناقض والصيرورة والتغيير المتصل والتشابك والترابط بين الأحداث والمصائر..... وهي في كل هذا تعبير عن التطلع الى الأمام، التطلع الى الوضوح، التطلع إلى ما هو أكثر إنسانية وإيجابية، إنها تعرض لنماذج متنوعة، فيها الفاضل وفيها غيرالفاضل، فيها الإيجابي وفيهاالسلبي، فيها المنتمي وفيها غيرالمنتمي، فيها الوطني وفيها اللامبالي، فيها الملحد وفيها المتدين، فيها الرفيق الشيوعي وفيها الأخ المسلم، وفضلا عن ذلك فهي زاخرة بمختلف قطاعات المجتمع من تجار وموظفين وطلبة، وغانيات وجوار وخدم، وأرستقراطيين، وأبناء وبنات أسر متوسطة، هكذا ولكن

---

[68]. في حب نجيب محفوظ، رجاء نفاش، ص : 44

على رغم هذاالتنوع الشديد، فإنها جميعا تعبر عن صدام وصراع وتناقض من أجل اكتشاف الجديد واستيعابه..... من أجل التغيروالتجدد من أجل الوضوح الفكري والسعادة النفسية..... والتوفيق الاجتماعي.[69]

[69]. الجهود الروائية من سليم البستانى الى نجيب محفوظ ، د. عبدالرحمن باغي، ص: 152

الفصل الثاني

عبدالرحمن الشرقاوي ومساهمته في النزعة الواقعية

عبدالرحمن الشرقاوي(1920-1987) الروائي المبدع،الشاعر الفنان،الكاتب الاجتماعي، المؤلف المسرحي، الصحافي البارز، المفكر الاسلامي المصري ولد في منطقة منوفيا، واشتهر بأحد كبار رواد حركة التجديد الشعري العربية في نهاية الأربعينات وبأحد كبار رواد الاتجاه الواقعي الاجتماعي في الابداع الأدبي العربي .

فقد درس الحقوق بجامعة القاهرة حتى تخرج في كلية الحقوق في يوليو 1943م ثم عمل محاميا لمدة عامين ثم مفتشا للتحقيقات بوزارة المعارف ، وما إن لبث في هذه الوزارة حتى ا ستقال عام 1956م.

بدأالشرقاوي حياته العملية بالمحاماة ، ولكنه هجرها فيما بعد لكي يصبح كاتبا، فعمل في جريدة "الشعب" ورأس تحرير مجلة الطليعة الشهرية التي كان يصدرها إتحاد خريجي الجامعة عام 1945م حتى اغلقت عام 1946 م وشارك في تحرير الصفحة الأدبية لجريدة " المصري" ونشر فيها الكثير من القصص والمقالات والقصائد وأشرف على الصفحة الأدبية بجريدة " الشعب" ثم جريدة " الجمهورية" وخاض على صفحاتها معارك كثيرة دفاعا عن الشعر الحديث. فأصبح الشرقاوي عام 1971م رئيس تحرير أشهر مجلة سياسية مصرية وهي " روز اليوسف" ويصير رئيس مجلس ادارتها وعين عضوا باتحاد الإضاعة والتلفزيون كما تم انتخابه سكرتيرا عاما للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام 1977م ولكنه استقال بعدها بعامين.

لقد تعدى نشاط الشرقاوي من المجال المحلي بعد أن عين سكرتيرا عاما لمنظمة التضامن الإفريقي الآسوي عام 1987م وما إن احتل هذاالمنصب ثلاثة عام حتى انتخب رئيسا

لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية كما اختارته منظمة اليونسكو للجنة تحكيم أكبر جوائزها.

بالإضافة الى هذا إنه شارك في سيناريو فيلم "الرسالة" بالاشتراك مع توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار كما أنه قام بترجمة القصيدة الشهيرة باسم "عيون الزا" من أشعار أرجوان التى نشرتها مجلة "رابطة الشباب" وقد أرسل اليه د. طه حسين بعد ترجمة هذه القصيدة تحية طيبة وشجعته على ترجمة قصائد أخرى. ومما لاشك فيه إن الشرقاوي كان من أكبر المرحبين بثورة يوليو وعمل في صحفها مثل " الشعب" ثم " الجمهورية" ثم " روز اليوسف" التي شغل رئاسة مجلس ادارتها ورئيس تحريرها الى أن انضم لأسرة الأهرام ليصير واحدا من كتابه في سنوات حياته الأخيرة وبلا شك إنه أدى دورا مهما بارزا بهذاالصدد.وبسبب جدارته الفنية والإدارية التى جعلته شخصية فذة في ميدان عمله ودائرة مهنته ونقطة تفكيره فقد أطلق عليه في فرنسا " فيكتور هوجو العربي" لعطائه الرائد والمتميز فيْ كل مجالات الثقافة والفنون. كما حصل الشرقاوي على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1974م تقديرا لمساهمته البارزة في الأدب والثقافة والفنون والتي منحها له الرئيس السادات مع وسام الآداب والفنون من الطبقة الأولى.

على أية حال إن شخصية الشرقاوي كانت شخصية متعددة الجوانب فهو من رواد الشعر الحديث وكان عميد المسرح الشعري ورائد الأدب الاشتراكي، إذ أنه طرق كثيرا من المجالات الأدبية من الشعر والمسرح والمسرحية الشعرية والقصة القصيرة والرواية ، وهو كان كاتبا بالمعنى الحقيقي للكلمة ، لقد كتب في كل مجالات الفن والفكر والأدب وظل يكتب حتى لقي ربه فمات شهيد القلم .

مجال عمله

كما سبق الذكر آنفا إن عبدالرحمن الشرقاوي كانت شخصية متعددة الجوانب يتناول أدبه الفنون المتعددة من القصائد الشعرية والمسرح الشعري والقصة القصيرة والرواية . التنوع والكثرة في آثاره وأعماله الأدبية والثقافية يبين مدى آفاقه الفكرية السامية في فنون الأدب المختلفة. فهو كان شاعرا قديرا روائيا بارزا ومسرحيا مرموقا وصحفيا شهيرا وسينمائيا ، ولكنه أصبح معروفا أولا في الاوساط الأدبية لشعره الحر ثم تحول فيما بعد الى الرواية والمسرحية. وقصائد الشاعر عبدالرحمن السياسية والإجتماعية والتي يبلغ عددها نحو 19 قصيدة، تشير الى أن الشاعر لم يعش بمعزل عن مجريات الواقع من حوله، وإنما تأثر بالأحداث السياسية الدائرة، وأن له موقف منها انعكست على تجربته الشعرية. وله العديد من القصائد في الشعر السياسي، تشير إلى أن الهم السياسي كان شاغلا أساسيا في حياته، أوضح من خلالها موقفه ضد ممارسات القمع والاستغلال والتواطؤ مع المستعمر.

جمع الشرقاوي أشعاره في ديوانين : أولهما ديوان شعر يحمل عنوان قصيدته الشهيرة " من أب مصري إلى الرئيس ترومان" والثاني يضم مسرحيته من فصل واحد ومجموعة قصائد "تمثال الحرية" و"قصائد منسية".

أما مسرحياته فإنها تعالج القضايا المعاصرة فأبدع الشرقاوي في كتابة مسرحياته الشعرية، حيث أسس تجربة رائدة لتطويع شعر التفعيلة كأداة للتعبير ولمعالجة القضايا، ويظهر ذلك من عناوين مسرحياته مثل "مأساة جميلة" . من خلال هذه المسرحية انه أراد أن يقدم المأساة التي تبرز الصراع بين الفرد المعاصرة، والقوى التي تريد السيطرة عليه وقهره. وبعد أن كتب الشرقاوي الشعر في سن مبكر اكتشف عوالم أخرى وتأكد من أن القصيدة وحدها لا تستطيع أن تعبر عن مثل هذه العوالم والعلاقات المتشابكة بين الأشخاص بعضهم البعض وبين الأشخاص والحياة من خلال التفاعل المتطور بين

الإنسان وواقعه فعبر عن كل هذا بكتابة القصة وله في هذا المجال مجموعتان قصصيتان، الأولى "أرض المعركة" وصدرت عام 1954م والثانية " أحلام صغيرة" وصدرت عام 1957م ، ثم اكتشف الشرقاوي في الرواية مجالا أرحب من القصة فكتب رواياته : الأرض (1953)، الشوارع الخلفية (1958)، الفلاح(1967)، قلوب خالية(1957) وأصبح أبرز من تناول مأساة القرية المصرية حيث تكشف رواياته عن الصراع بين الفلاحين وصغار الملاك مع الإقطاعيين والانتهازيين ذوي النفوذ ومدى تضامن من أهل القرية في هذا الصراع .

وتعد رواياته " الأرض" درة الرواية الواقعية في الأدب العربي وقد تحولت إلى واحد من أنجح وأهم أفلام السينما المصرية . وبعد أن تنقل ما بين الشعر والقصة والرواية وجد أنه بحاجة إلى وسيط للتعبير يجمع بين القصيدة بتكثيفها وتركيزها ونبضها وبين الرواية بسعتها وتناولها للعلاقات وقدرتها على النفاذ إلى الأعماق وتصوير تدفق الحياة فكانت المسرحية الشعرية شكلا مناسبا عن هذه العوالم.

وبدأ الشرقاوي رحلته مع المسرح الشعري عام 1953م بمسرحية لم تأخذ من الشهرة والذيوع بعنوان (الأسير) تجربة أسر شعب مصر لملك فرنسا لويس التاسع ..... وتؤكد المسرحية قدرة الشعب المصري على قهر الغزو الأجنبي حتى في حالات الانفصال بين الشعب وقادته. ثم كانت المسرحية الثانية " مأساة جميلة" عام 1959م تخليدا لملحمة الكفاح الجزا ئري من أجل الاسقلال ولم تعرض هذه المسرحية إلا في عام 1962م، ثم كانت المسرحية " الفتى مهران" عام 1963م والتي تقدم مأساة بطل يريد أن يمارس حقه في الاختيار ومأساة بشر يريدون أن يعيشوا مجتمعا عادل وبعد هزيمة 1967م كتب الشرقاوي مسرحية مهمة لم تأخذ حقها من الشهرة والذيوع بعنوان "تمثال الحرية" يندد فيها الاستعمارالأمريكي وخداعه الدول النامية بشعارات الحرية. وواصل الشرقاوي سيرته مع المسرح الشعري فكتب " الحسين ثائرا" و" الحسين شهيدا" عام 1969م وفي

هاتين المسرحيتين يعلى الشرقاوي من قيمة الاستشهاد دفاعا عن القيم الفاضلة، حيث كان الإمام الحسين يؤمن بأن الموت دفاعا عن الحق خير من حياة مذعنة للباطل، ويقول الشرقاوي على لسان الحسين " طوبى لمن يعطى الحياة قيمة أغلى علبة من الحياة" أما مسرحيته الأخيرة فكانت " وطني عكا" وفيها يخلد كفاح الفلسطينيين في سبيل الحرية والعدل تحت ظروف صعبة من القهرة والتزييف والخديعة ويتسم أبطال كل هذه المسرحيات بالإحساس بالمسؤلية إزاء المجتمع والعصر مع الإدراك الشمولي للعيوب والشعورالوجداني والفكري الذي يبلغ درجة أعلى من الوعي بما يجب عمله.

وبعد أن طوف الشرقاوي مبدعا في كافة حدائق الإبلاغ بلغ ذروة النضج الإنساني والفكري فجاءت دراساته الإسلامية قمة في الإبداع وشمولية الرؤية والقدرة على تقديم الصورة المستنيرة للاسلام من خلال تقديم السيرة الذاتية لمجموعة من قادة الإسلام الأوائل يأتي في مقدمتهم " محمد صلى الله عليه وسلم" ألف الشرقاوي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم "محمد،رسول الحرية" 1962م التي حاول فيها أن يعرض حياته من وجهة نظرة ماركسية كما ارتاد منهجا جديدا أو أصيلا وتوالت هذه الدراسات – أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين– الفاروق عمر– عثمان ذوالنورين – علي إمام المتقين – الإمام الشافعي – أئمة الفقه الشعة – ابن تيمية : الفقيه المعذب.

ومما يجدر بالذكر هنا أن الشرقاوي كان يجتذبه من المادة التاريخية جوهرها وروحها، وليست وقائعها وتفصيلاتها، فهو حين يقوم بالترجمة لواحد من عظماء الإسلام ، فإنه يقدم صورة فنية أدبية مبدعة، لاعملا تاريخيا موثقا، فليست الأخيرة مهمته كأديب بل هي مهمة المؤرخ الذي يتسلح بالمنهج العلمي. فهو فيما كتب أديب فنان يستلهم التاريخ في إبداعه الفني، وهوحين يعتمد على الحدث التاريخي كمادة أولية. فإنه يرى في هذا الحدث ركيزة ينطلق منها إلى عالم التصورات والرؤى، مستشرفا آفاق الانسانية في رحلة الإسلام.

وخلال الاستعراض، الكتابة الإسلامية لهذا الكاتب الفذ ،الجدير بالملاحظة هنا أنه بدأ الكتابة الإسلامية بعد أن استوى شاعرا وقصاصا فلا بد أن يكون لذلك أثره المباشرعلى أسلوبه واختياراته. وأول ما نستشعره هو شاعريته في سرده للأحداث التاريخية، ولعلنا نتأمل ذلك في عبارة من آلاف العبارات جاءت بكتابه "محمد، رسول الحرية" فيها يصور حلم النبي الكريم بعالم جديد ، يحلم عليه الصلوة والسلام – بأشياء رهيبة حقا. يحلم كأن أصنام الكعبة تسقط، ودولة الطغيان تتقوض، بكل دعارتها وترفها المستبد، من أقصى بلاد الروم والفرس بعدالجزيرة العربية، وكأن الناس قد تحولوا إلى بشر آخرين لا يرفع أحدهم السيف في وجه أخيه، ولا تمتد بالعدوان على أحد.

كلمة الحق ترتفع كالراية تظل جموعا لا حصر من رجال شرفاء، ونساء فاضلات، وأطفال سعداء.

وبعد تقديم نبذة عن هذه الشخصية العملاقة يناسب لنا أن نقدم بإيجاز أعماله المهمة، وفيما يلى قائمة من الأعمال الأدبية والاسلامية والثقافية .

أعماله

الرواية:

كتب عبدالرحمن الشرقاوي في حياته أربع روايات لم يكتب سواها حتى أنفاسه الأخيرة.

- .الأرض: نشرت مسلسلة في صحيفة المصري ثم طبعت1952 .
- .قلوب خالية 1956 .

•الشوارع الخلفية : نشرت مسلسلة في جريدة الشعب ثم طبعت 1956.

• .الفلاح: نشرت مسلسلة في جريدة الجمهورية ثم طبعت 1967.

مجموعة قصصية:

•أرض المعركة: مجموعة قصصية (صور من كفاحنا الشعبي) عام 1952.

• .أحلام صغيرة :مجموعة قصصية قصيرة عام 1955 .

المسرحية:

• .الحسين الثائر :نشرت في صحيفة الجمهورية ثم طبعت 1970.

• .الحسين شهيدا: نشرت في صحيفة الجمهورية ثم طبعت 1970 .

• .الفتى مهران: نشرت أول مرة في الكاتب مسلسلة ثم طبعت 1966 .

•وطني عكا:

•مأساة جميلة: نشرت مسلسلة في جريدة الشعب ثم طبعت .1958

•أحمد عرابي زعيم الفلاحين: نشرت في صحيفة الأهرام ثم طبعت1982.

• .النسر الأحمر(النسر والغربان):مسرحية شعرية 1975.

• .النسر الأحمر (النسر وقلب الأسد): مسرحية شعرية1975

• الأسير:

الشعر:

• .رسالة من أب مصري إلى الرئيس ترومان :قصيدة طويلة 1968.

• .رسالة إلى جون سون : قصيدة طويلة 1967 .

• .تمثال الحرية وقصائد منسية :مسرحية شعرية 1967 .

• .خطاب من أب مصري : ديوان شعر1968 .

السير والتراجم:

•محمد رسول الحرية: نشرت مسلسلة في جريدة المساء ثم طبعت 1966.

•أئمة الفقه التسعة: نشرت بالأهرام مسلسلة خلال سنوات ثم طبعت 1982.

•إبن تيمية الفقيه المعذب: نشرت بالأهرام مسلسلة ثم طبعت 1982.

• .علي إمام المتقين: نشرت بالأهرام مسلسلة ثم طبعت1982 .

•الفاروق عمر بن الخطاب: نشرت بمركز الأهرام للترجمة والنشر1987.

•عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الرا شدين.

المقالة:

•ثورة الفكر الإسلامي : مقالات.

• .قراءات في الفكر الإسلامي : مقالات1975 .

• .رسالة إلى شهيد :مقالات1957 .

البحث:

• باندوج والسلام العالمي :بحث سياسي, 1955.

تعريف وجيز على رواياته الواقعية

كما أشرت في سطور آنفة الذكر فقد قدم عبدالرحمن الشرقاوي عدة روايات منها: الأرض (1953)، قلوب خالية(1957) الشوارع الخلفية (1958)، الفلاح(1967). فقد ساهم الشرقاوي في إثراء المشهد القصصي العربي بمجموعة من هذه الكتابات الإبداعية القصصية، حققت تراكما لافتا في المتابعات والقراءات والدراسات الأدبية والنقدية.وهو كان يكتب الطلاقا مِن واقعه الاجتماعي وليس كاتبا واقعيا بالمفهوم الحرفي للكلمة وهو كان يكتب بالرؤية البصرية وباللغة وجماليتها ومركزيتها ودلالتها واستعاراتها.

"كان فكره لايعرف إلا صوت الحرية، الحرية له ولأبنائه ولوطنه ولكل انسان يذوق طعم العبودية والاستعمار والاستقلال والطغيان الغيبي الذي يدمر الأمن والسلامة ويفرق بين الأهل والأصدقاء، ويرفع صوت الرصاص على صوت الحب، ويدفق أنهار الدماء بدلا من أنهار الخصب والنماء، ويزرع البغضاء والحقد وكان وجدانه لا يعرف إلا معنى الصداقة، رغم ما كان حوله من ظلم، فالغنى يزداد غنى، والفقير يزداد فقرا، وقوم يتفقون أموالهم الغزيرة على أدوات ترف لا تحصى أغرقنا بها الرأسمال الشره". [70]

ومن أهم ما يميز كتابات الشرقاوي القصصية، هو جرأتها في تعرية الحالات والظواهر والمفارقات الاجتماعية وسلوكيات اليوم، يسند في ذلك كله حدسه، ومايتوافر عليه الكاتب من حواس شديدة محفزة على الكتابة والإبداع.

الدعوة الى العدل والحرية ورفع الظلم والقهر عن المطحونين والغلابة هذا جوهر فكر عبدالرحمن الشرقاوي سواء في مسرحياته الشعرية أو دراساته الإسلامية أو رواياته الواقعية. كما أنه يلح على " العدالة الاجتماعية" و " تحكيم العقل" و" تحكيم الكفاية للجميع"

---

[70]. مجلة العربي: العدد 351، فبراير1988، ص: 90

و " وحدة الشعور" و" الأصالة الدينية" و" الإخلاص" و" الجدة في تعبير العواطف والحقائق".

وكل ما أنتجه هو من أدب بناء يرقق الشعور ويغذى الفكر ويهذب النفس ويبعث على مكارم الأخلاق ويهدى الى عوالم فسيحة من المذهب الإنساني المسلم، أو المسلم الإنساني، الجدير بكرامة الإنسان في كل زمان ومكان، يتحلق القارئ مع الكاتب في عالمه الذي صنعه بقوة فكره وروعة خيالية فيفرح اذا فرح ويتألم إذا تألم. وممالا شك فيه إنه ألف أدبا رفيعا جميلا لا يستطيع أن يصل أليه كل مَن هب ودب ولا يتأتى ذلك إلا بعد جهود علمية أدبية كثيفة ودراسة عميقة شاملة وتفتح عقلي وشعوري ناضج.

الأرض

بدأ عبدالرحمن الشرقاوي خطواته الأولى في مجال الرواية بكتابة الرواية الشهيرة " الأرض" عام 1954م، ويتضح فيها مدى تأثره بالحياة الريفية، حيث كان القرية المصرية هي مصدر الهام، كما أنها تعد هذه الرواية أول تجسيد واقعي في الإبداع الأدبي العربي الحديث إذ تحتل مكانتها الهامة والفنية من حيث البحث عن الوقائع الاجتماعية والسياسية في القرية المصرية. إن حكاية الأرض تحدث في سنوات الثلاثينات بين عامي 1932-1933 خلال السنوات الحاكمة في مصر حيث يتحكم ديكتاتور "الملك فؤاد" وأحداث القصة تدور في القرية التي تشهد صراعا حقيقيا بين الفلاحين الذين يفلحون الأرض وهؤلاء الذين يستغلونها دون أن يعملوا ويبدوالاستغلال في صورة كثيرة، ضرائب، بيع، شراء منتجات الأرض ويشتد النضال من أجل الحصول على الماء للأرض".[71]

---

[71]. أدب عبدالرحمن الشرقاوي، ص: 279

ولا يختلف اثنان في الرواية "الأرض" أنها أفضل روايات الشرقاوي وأشهرها، قد اهتم فيها المؤلف بهموم الفلاحين في القرية المصرية وهي تعتبر أول عمل ينطق الفلاحين بلغتهم الحقيقية، ويقدمهم في صورة تفرض على القارئ أن يأخذهم مأخذ الجد، وأن يتعرف عليهم كأناس لهم مشاكلهم وهمومهم المضنية ولهم قيمهم ومثلهم التي يضحون بالكثير في سبيلها..... وقد استطاعت الرواية أن تقدم صورة حية صادقة لأسلوب الحياة في القرية من خلال حشد المؤلف لمئات التفاصيل الواقعية الدالة، ونجحت بذلك في أن تقدم القرية على أنها بطلة الرواية وليست فقط خلفية لمأساة وقعت فيها كما هوالحال في " زينب" أو في " الحرام" ليوسف ادريس مثلا".[72]

تقع أحداث الرواية التي يروي جزء منها طالب مدرسة في صورة ذكريات لإجازته في قريته كما يروي جزء آخر منها المؤلف بضمير الغائب، في فترة الحكم الاستبدادي لصدقي باشا، في أوائل الثلاثينيات. سكان القرية ناقمون على قرارين للحكومة، يتعلق أولهما بتقصير مدة ريهم لصالح رجل ثري يسكن قريبا منهم ويملك أراضى واسعة وثانيهما ببناء شارع يؤدي الى الرجل الكبير وذلك عن طريق قطع أراضيهم، تصورالرواية المحاولات البطولية المبتورة التي قام بها الفلاحون لأجل منع تنفيذ القرار الحكومي، يعرض خلالها المؤلف صورة شاملة بانور مائية للحياة في القرية وأنماطا بشرية متنوعة من : الفلاح المحروم من الأراضي وصاحب الأراضي القليلة والعمدة ومدير رجال الشرطة والإمام ومعلم المدرسة والبقال وخريج الأزهر والمومس وملكة جمال القرية.

الرواية نوع من الملحمة، تروي علاقات الفلاحين المتبادلة ومؤامراتهم ومنافساتهم ونزاعاتهم كما تروي تعاونهم وتضامنهم لدى الحاجة وهمومهم اليومية، حبهم وأفراحهم

---

[72]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقدى، الدكتور حمدي السكوت، ص: 79

وأتراحهم، نزاعاتهم على ماء الرى وكفاحهم الجاري ضدالسلطات الظالمة القاهرة، كل ذلك يتم عرضها بتفاصيل دقيقة حية من خلال حوار ممتع نابض بالحياة قد جرى فيه استخدام العامية بصورة فعالة مؤثرة التي تبلغ بعض الأحيان إلى حد الشاعرية في روحها وأدائها".[73]

على أن الرواية تعاني من بعض العيوب الفنية وأبرزها تقسيم المؤلف للقرية إلى معسكرين متصارعين، معسكر العمدة وأتباعه ومن خلفهم باشا، والمعسكر المعادي للأول، معسكر الفلاحين ومن ثم تقسيمها إلى أبيض وأسود، " فمعسكر السلطة جاء كله شرا مطلقا على حين جاء الفلاحون – تقريبا – أخيارا بطبيعتهم ..... وبين المعسكرين يقف رجل الدين أو إمام القرية موقفا مثيرا للسخط والسخرية أينما ظهر، وهو بالطبع ضالع مع معسكر السلطة" .[74]

قلوب خالية والفلاح

أما الروايات الأخرى لعبدالرحمن الشرقاوي فهي لا تتمتع بقوة رواية الأرض وأحيانا كثيرة تقترب من الدعاية بسبب التزامها الشديد بمبادئ الواقعية الاجتماعية . تتخذ " الفلاح" و "قلوب خالية" على غرار الأرض من القرية مسرحا لأحداثها وتتحدث الأولى من سوء ادارة الإصلاح الزراعي الذي نادت به الثورة على يد الطبقة المتوسطة الريفية التي تعمل ضد مصالح الفلاحين والطبقة الكادحة ويرى الفلاح أنه كان أحسن حالا بدون الأرض، فإن الدولة وإن منحته قطعا من الأرض، سلبت الثورة منه حريته فهو لا

---

[73]. A Short History of Modern Arabic Literature, M.M Badawi, p: 151.

[74]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقدى، الدكتور حمدي السكوت، ص: 80

يستطيع أن ينتفع بها حق الانتفاع، كما تكشف عن مدى فساد الاتحاد الاشتراكي أو الحزب السياسي الذي تبنته الدولة".[75]

يقول الدكتورحمدي سكوت بهذاالخصوص:

"ويكشف الشرقاوي في هذه الرواية عن أنه قد تراجع عن مذهبه الشيوعي أو الاشتراكي المتطرف، فعلى حين كانت الأرض بالنسبة للفلاح في رواية"الأرض" تساوي العرض والكرامة، فإن "الفلاح" الرواية الاخيرة يصرح بأنه كان أفضل حالا بدون الأرض التي منحها له الدولة وبحريته التي سلبتها الثورة، فضلا عن أن الرواية تكشف عن مدى فساد الاتخاذ الاشتراكي أو الحزب السياسي الواحد الذي تبنته الدولة".[76]

ومما يلفت الانتباه اليه أن رواية "الفلاح" تصور مجتمع ما بعد الثورة مجتمع الاشتراكية والإصلاح الزراعي وتقولها صريحة صارخة إن الأعداء الاشتراكية تسللوا إلى مناصب قيادية في القرية وما زالوا يسومون الفلاح خسفا كما فعل أجدادهم، ومازالوا بعون الفاسدين من المشرفين يستغلون الفلاح خسفا كما فعل أجدادهم ويحجرون على حريته ويحرمونه حقوقه التي خولها القانون وتصور الرواية لوعة القاهري المثقف إذتنكشف له هذه الحقيقة". [77]

"أما الثانية فهي تتحدث عن المبادئ الأخلاقية المتبعة في القرية والمخاطر التي تتعرض لها لدى احتكاكها بالمدينة وبالأجانب الذين لا يحمد تأثيرهم".[78]

---

[75]. نفس المصدر، ص: 80

[76]. د- حمدي السكوت- الرواية العربية (ببلوجرافيا ومدخل نقدي 1865-1995م) المجلدالأول (مقدمات ومدخل نقدي) ص :80

[77].فاطمة موسى، الأعمال الكاملة (2) الجزء الأول: في الرواية العربية المعاصرة، ص 184

[78]. .A Short History of Modern Arabic Literature, M.M Badawi, p: 152

الشوارع الخلفية

على عكس الروايات التي مضى ذكرها تستمد رواية الشوارع الخلفية أحداثها من المدينة لكن موضوعها لا يختلف عن الروايات الأخرى، فهي مثل شقيقاتها تقدم صورة الكفاح الذي قامت به " طوائف الشعب في القاهرة والمدن الأخرى وانتهى باعادة دستور 1923م وتاليف الجبهة الوطنية والحكومة الاصلاحية" وهو كفاح ضد الحكومة والسلطة والانتداب البريطاني. كان كفاحا حقيقيا قام الطلاب بمن فيهم كاتبنا الشرقاوي والعديدون من المصريين. ويرى حمدى السكوت أنه أهم روايات الشرقاوي من الناحية الفنية، قد نجح الكاتب في تصوير الكفاح والمشاركين فيه تصويرا متميزا بالواقعية والتلاحم والحيوية، يجعلنا نتعايشها ونشعر بأننا جزء منها.

وميزة أخرى لهذه الرواية ما يميزها من أخواتها هي اهتمام المؤلف بتصوير مشاعر الأبطال وأحاسيسهم وأسرارهم الخاصة، على سبيل المثال مشاعر الطالب الذي يتطرق الى قلبه الريب في سلوك أمه ويراها أنها تخون أباه ولكن يرى ما يهد كيانه، يرى والده في وضع شائن مع الخادمة فيحتضن امه بعد ذلك ويكبرها وتتطور الأحداث ويصرع في مظاهرة وكان في إمكانه أن ينجونفسه ولا ندري أاعتنق الشباب الموت فداء على وطنه أو انتحر شعورا بذنبه تجاه أمه التي ارتاب فيها أو فرارا من الصدمة المروعة التي تلقاها في سلوك أبيه المخزي " إن الشرقاوي ينجح ببراعة في عرض الوقف على هذه الصورة المحيرة" كذلك تتميز الرواية ببلاغة اللغة الدارجة وشاعرية فصحاها.[79]

والرواية تفيض بتصوير المشاعر العميقة، وكأن المؤلف يريد أن يعوضنا هنا عما كنا نفتقده في رواية "الأرض" التي ركزت كل التركيز تقريبا على وصف كفاح الفلاحين دون

---

[79] . الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقدى، الدكتور حمدي السكوت، ص: 81,82

التعرض- الا لماما ونادرا- لأي أسرار نفسية، وتتجلى في الرواية أيضا بلاغة اللغة الدارجة التي تعودناها من "الشرقاوي" في "الأرض"، وبلاغة اللغة الفصحى التي ترقى الى مستوى الشعر في المواقف المؤثرة نفسيا ومنها- على سبيل المثال- زيارة شوقي، الذي يعكس حياة " الشرقاوي" نفسه، في تلك الفترة، زيارة شوقي لأسرة صديقه الذي قتل في المظاهرة، وما اعتمل في نفسه آنئذ من مشاعر الحزن والوفاء لصديقه وامتزج هذه المشاعر بمشاعر الحب المثالي لصفية أخت هذاالصديق، ومااعتمل في نفس الأم وهي ثري صديق ابنها الحميم يدخل البيت لأول مرة بدون صحبة الابن.[80]

[80]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقدى، الدكتور حمدي السكوت، ص: 82

الفصل الثالث

يوسف إدريس ومساهمته في النزعة الواقعية

كان يوسف إدريس مفكرا، أديبا، صحفيا وطبيبا قدم للأدب العربي تراثا قيما في شكل القصص والروايات والمسرحيات والمقالات. إنه كان طبيبا بالمهنة ولكنه ترك مهنته ليتفرغ للأدب والصحافة . ومما لا شك فيه إنه يعتبر من الأساتذة البارعين للقصة القصيرة في العالم العربي إذ تعتبر مساهمته في هذاالفن أجل وأكثر عن الفنون الأخرى، مع إن أعماله المسرحية والروائية لا تقل في أهميتها وعمقها وسعتها من قصصه القصيرة. يوسف إدريس روائي غزير الثقافة واسع الإطلاع. إطلع على الأدب العالمى وخاصة الروسى فقد قرأ لبعض الكتاب الفرنسيين والإنجليز. وقد تأثر في مطلع شبابه بالفكر الماركسى بكل ما يحمل من هموم إجتماعية. هذا من ناحية أدبية وفنية وثقافية عامة ساهمت في تشكيل وعيه العقلى والأدبي ولعل ممارسته لمهنة الطب وما تنطوى عليه هذه الممارسة من إطلاع على أحوال المرضى في أشد لحظات ضعفهم الإنسانى و معايشته لأجواء هذه المهنة الإنسانية ما أثر في وعيه الإنسانى والوجدانى بشكل كبير. قدم يوسف إدريس عشرين مجموعة قصصية وخمس روايات وعشر مسرحيات بالأضافة الى المقالات الهامة . ترجمت أعماله إلى 24 لغة عالمية منها 65 قصة مترجمة الى الروسية.

يكتب الدكتور أحمد هيكل في كتابه الدراسات الأدبية : "لعلي لا أجاوز إذا قلت : إن يوسف إدريس من ألمع كتابنا المعاصرين وأغرزهم إنتاجا، وأكثرهم تنويعا، وأسرعهم تطورا، وأنضجهم فنا، فهو يتألق في صف الصدراة بين كتاب جيله، ذلك الجيل الثالث الذي جيل نجيب محفوظ ومن قبله جيل تيمور. وهو قد أخرج أكثر من عشرين عملا أدبيا، بين مجموعات قصص قصيرة، وروايات، ومسرحيات، ومختارات من مقالات، ثم هودائم

التحرك إلى الأمام في بحث جاد عن الجديد. كما أنه مستمر الاجتهاد والتجويد، حتى بلغت بعض أعماله ذروة عالية من ذرى أدبنا المجيد. [81]

وهو كان من مواليد مصر في قرية من قرى دلتا النيل. فإنه منذ كان طالبا للطب في القاهرة (وهي نفس الفترة التي خاض فيها في النشاطات السياسية) بدأ كتابة القصص القصيرة حتى نشرت المجموعة القصصية الأولى باسم " أرخص ليالي" عام 1954م .

فتلته مجموعته القصصية الثانية " العسكري الأسود" عام 1955م، الأمر الذي دعا عميد الأدب العربي طه حسين لأن يقول " أجد فيه من المتعة والقوة ودقة الحس ورقة الذوق وصدق الملاحظة وبراعة الأداء مثل ما وجدت في كتابه الأول " أرخص ليالي" على تعمق للحياة وفقه لدقائقها وتسجيل صارم لما يحدث فيها. وهي ذات المجموعة التي وصفهاأحد النقاد حينها بقوله : " إنها تجمع بين سمات " ديستوفسكي" وسمات "كافكا" معا.

لم يقصر يوسف إدريس نفسه على القصة القصيرة وحدها ففي عام 1956م نشر رواية قصيرة تحت عنوان " قصة حب" وفي مايو 1957م قدم نفسه للمرة الأولى كمسرحي بمسرحيتين من فصل واحد : ملك القطن" و "جمهورية فرحات" فكانت التجربة مشجعة فتلتها " اللحظة الحرجة" وهي مسرحية مستوحاة من أزمة السويس.

أما الروايات فقدم يوسف إدريس رواية " البيضاء" التي كتبت عام 1955م ولكنها لم تنشرإلا في 1970م و "قصة حب" 1956م و "الحرام" 1959م و "العيب" 1962م.

أعجب النقاد بمختلف مظاهر كتابات يوسف إدريس : تفننه في اختيار الموضوعات والخلفيات والبيئات، على وجه الخصوص معرفته الدقيقة للحياة في مناطق الريف، وعينه

---

[81]. دراسات أدبية ، د، أحمد هيكل ، 195

الثاقبة النفاذة التي يستطيع بها أن يلتقط دقائق الحياة المصرية في صورة صادقة واستخدام لغة فنية، هي في تلقائيتها وعفويتها ومزجها بين العامية والفصحى قد ثبت أداة مثالية لرسم الصور الزاخرة المصرية وشخصياتها. [82]

يوسف إدريس مثل عبدالرحمن الشرقاوي، يهتم في أعماله بتصوير حياة الفقراء في المدينة والقرية كلتيهما. إن مناطق القاهرة المتخلفة تشكل مسرحا لكثيرمن قصصه القصيرة التي يمزج فيها تجاربه الذاتية كمفتش طبيب.[83]

غير أن رواياته تختلف من روايات الشرقاوي في معالجة المشاكل، فهنا لا يتم عرض الأفكار السياسية والاجتماعية على حساب الفن، الحب والسياسة يمشيان جنبا الى جنب والتركيز على الفرد أكثر من الجماعة. قد برز يوسف إدريس على ساحة القصص القصيرة نجما متلألأ حتى يعد عميد القصة القصيرة الحديثة في الوطن العربي وقطبا مرموقا للغاية من عائلة كتاب القصة القصيرة العالمية ورائد التجديد في شكل ومضمون المسرح المصري الحديث الذي امتد أثره إلى كل البلاد العربية، وأنشأ مدرسة جديدة تستوحى المسرح من الحياة الحديثة والتراث والأصالة.

مسيرته الأدبية

عمل يوسف إدريس محررا ثقافيا بجريدة الجمهورية وشغل عددا من المناصب منها رئيس قطاع المسرح وكاتب ومستشار ثقافي بمؤسسة الأهرام حيث انضم إلى أسرة تحريرالأهرام منذ الستينيات من القرن الماضي كما عمل كرئيس لجمعية كتاب ونقاد المسرح كما كان عضواتحاد الكتاب ووكيلا لنقابة الصحفيين. فهو لم يكن من الشخصيات

---

[82] Encyclopedia of Arabic Literature. Edit: Julie Scott Meisami and Paul Starkey P : 389.

[83] The Arabic Novel. An Historical And Critical Introduction, Roger Allen, P :79.

الهادئة التي تأخذ جانبا في الغرفة ولا يعنيها شئ في الدنيا غير الورقة والقلم لكنه كان صاحب معارك فكرية وأدبية.

وفي السبعينيات ركز يوسف ادريس اهتمامه على الصحافة بصورة كبيرة معللا ذلك بأنه سيكون جهدا ضائعا أن يكتب قصصا قصيرة طالما أن المصريين مازالوا يعانون من الأنيما الثقافية وسوء التغذية الروحية وكان اتجاهه إلى المقالة السياسية بدلا من القصة دليلا على شدة تعلقه بقضايا بلده حتى أن البعض وصفوه بالعصب العاري الذي ينبض بحب مصر.

لم يكتب يوسف ادريس لزمن معين أو فترة معينة لتندثر كتاباته وتظل مجرد قصص للقراءة فقط ولكنها كانت أسطر تعبر عن واقع يمتد بأشكال مختلفة عبر الأزمنة المختلفة والتغيرات الإجتماعية التي نراها ونعود إلى ما كتبه يوسف إدريس لنتعلم كيف عايش وكيف عبر عما نراه اليوم في مجتمعاتنا . اختار يوسف ادريس مواضيع مسحوبة من حياة الإنسان العربي المهمش وخلق أقصوصة عربية بلغة عربية مصرية قريبة من لغة الإنسان العادي وبذلك نقلها من برجها العاجي إلى لغة التخاطب اليومي. وقد شهد يوسف إدريس في كتابة القصة القصيرة تغيرا جذريا في نهاية الخمسينيات وأوائل الستينيات. فالتصوير الواقعي، البسيط، للحياة كماهي في الطبقات الدنيا من المجتمع الريفي، وفي حواري القاهرة، يتلاشى، ويظهره نمط للقصة أكثر تعقيدا، وتدريجيا، أصبحت المواقف ولا شخصيات أكثر عمومية وشمولية إلى أن قارب نثره تجريد الشعر المطلق. ويشيع جومن التشاؤم، وينغمس أبطال القصص في الاستبطان والاحتدام ويحل التمثيل الرمزي للموضوعات الأخلاقية والسياسية محل الوصف الخارجي والفعل المتلاحق.

تتصف كتابة يوسف ادريس بالإقدام والجسارة والجرأة، فهو من أصحاب الأقدام الحرة لكنه لم ينل حريته التي تمكنه من قول كل شئ.... بل بعضا من كل شئ، فنراه يتكلم عن

هذه الحرية المفقودة ويقول : " إن كل الحرية المتاحة في العالم العربي لا تكفى كاتبا واحدا لممارسة فعل كتابته بالجسارة التي يحلم بها.

فنجيب محفوظ كتب مرة : " كان ميلاد إدريس الأدبي ثورة، كما كانت حياته الأدبية ثورة مستمرة . ثورة على القوانين الفنية والاجتماعية . يقتحم كل شئ بجرأة ويعالجه بطلاقة فيثير من حوله زوابع من الاثارة والانفعالات. ومنذ أربعين عاما واسمه يتردد على الألسنة كمثل حي للإبداع القيم والفن الجميل. وقد مضى بخصوصية عجيبة في مضامينه وألحانه ولغته معتزا بقدرته غير العادية على الخلق والابداع. ويكاد ينعقد الاجتماع على أنه بلغ ذروته الابداعية في القصة القصيرة. وهي فن دقيق سهل ممتنع إذا تيسر له الشمول مع العمق. حقق في عالم الابداع الأدبي ما يعتبر من المعجزات ولعل قصص إدريس المختارة في ذلك المجال مما يعد من الأدب العالمي في أصفى أحواله وأجملها.

يكتب د. طه وادي في كتابه " القصة ديوان العرب قضايا ونماذج :

" وهو يوسف ادريس الذي وصلت القصة القصيرة على يديه إلى درجة عالية من النضج والإتقان، حيث تعكس قصصه رؤية شمولية نفاذة، وينتمي معظم أبطال قصصه إلى شرائح اجتماعية فقيرة : ماديا وثقافيا مثل عمال التراحيل ، وبعض الوظائف المهنية المسحوقة مثل جنود الشرطة وصغار الفلاحين والطلبة والعمال المهنيين في مجتمع القرية أوقاع المدينة. ونستطيع أن نلخص تجربة إدريس في أنه قد تمكن من أن يطهر بناء القصة من الثرثرة والحشور، كما برع في اختيار اللحظات التي تعبر عن موقف في حياة إنسان بسيط ، لم يفقد أصله في الحياة – رغم شقائه بها، ومن ثم فإن القصة عنده لدغة عقرب..... موجعة ومؤثرة وذات علاقة وثيقة بحياة كثيرمن الشخصيات المسحوقة في المجتمع التي لم يستطع الفقر المادي والقهر الاجتماعي أن يمحو ما فيها من بعد إنساني.....

لكن إدريس – رغم كل هذه الجوانب الإيجابية – لم يهتم كثيرا بتطوير عناصرالبناء... أو لغة القصة وهذا ما حاوله ..... ونجح فيه إلى حد ما – الجيل الذي انتمى إليه – وغاية ما أود تاكيده هو أن الجيل التالي لإدريس قد تأثر به، لكنه – أيضا – ثار على النموذج الذي قدمه ، وحاول أن يطوره بدرجة فنية أعمق وأكثر شمولا.[84]

الملامح الرئيسية لأدبه

حينما ندرس الأدب الذي يتكلم ويناقش عن أحوال المجتمع ويرصد تفصيلات دقيقة ويسرد أحداثا مصرية ويتحدث عن قضايا انسانية، نفهم على الفورأن هذاالأدب يرجع أصله الى كاتبنا الفذ يوسف ادريس. وبسبب هذه الميزات والخصائص التي يتصفها أدب يوسف إدريس يناسب لنا أن نعرض بايجاز الملامح الرئيسية لأدب هذاالأديب البارع. فيما يلي أهم الملامح والخصائص لأدبه:

أولا – الروح الأنسانية : حيث يجعلنا الكاتب نتعاطف مع الانسان عموما في ضعفه وصراعه لمقاومة هذا الضعف ، وفي قهره وإرادته الدافعة لهذا القهر، وفي قيده وحريته التي تستميت في تحطيم هذا القيد، وفي انسحاقه وتجمعه ونهوضه لسحق هذا الانسحاق، وفي موته وحياته التي هي انبعاث من هذاالموت، والتي تعفى على هذاالموت، وتخلق أبدا الاخضرار والازدهار والاستمرار.

ثانيا – الشخصية المصرية : حيث يجعل الكاتب وسيلته – غالبا – إلى ابراز الروح الإنسانية هي المادة المصرية، فهو في أكثر أعماله يعرض مشكلات مصرية، ويرسم شخصيات مصرية، ويسرد أحداثا مصرية، ويرصد تفصيلات مصرية ، قد تكون بالغة الدقة صارخة المحلية، لكي ينفذ منها إلى القضايا الإنسانية والشخصيات الإنسانية ، أو

---

[84]. القصة ديوان العرب قضايا ونما ذج ، الد كتور طه وادي , ص :79

إلى ما هو إنساني على وجه العموم. فهو في تجسيمه للشخصية المصرية لا ينعزل ولا يتقوقع ولا ينغلق ، وإنما ينطلق ويتفتح ويرتبط بالإنسان في كل مكان.

ثالثا – العقيدة الاشتراكية :- فكتابات يوسف ادريس تعبير صريح – بل صارخ – بأن صاحبها يؤمن بالاشتراكية ويدين بالالتزام، مما يدفعه إلى الاهتمام بمعالجة مشكلة الطبقات الكادحة والانتصاف لها.

وانطلاقا من الاشتراكية الملتزمة التي يدين بها الكاتب نراه يلح كثيرا – بل ربما دائما- على تأكيد قيم العدالة والحرية والكرامة الأنسانية.

رابعا – النزعة التقدمية : فكتابات يوسف ادريس تنم عن إنسان يؤمن بحتمية التطور حتى في القيم الأخلاقية ، فلا ثبات عنده لشئ، ولا تجمد لأمر، ولا تحجر لقيمة، ومن هنا نراه يعالج كثيرا من القيم المقررة بما يهز ثباتها، ويحاول أن يضعها في مكانها الطبيعي وبحجمها الذي ليس لها سواه من وجهة نظره. وبحكم نزعته التقدمية المؤمنة أشد الإيمان بالحركة الدائبة والتطور المستمر.

خامسا – المادة التعليمية : فيوسف إدريس تنعكس على كثير من آثاره ثقافته العلمية – وبخاصة الطبية – ولذا نراه يقدم في عدد من أعماله مشاهد وتفصيلات ومعلومات غاية في الروعة ، لأنها مستمدة من ثقافته العلمية الطبية أولا ، ولأنها معروضة بطريقة فنية أدبية ثانيا.

سادسا – الصبغة الجنسية : فيوسف إدريس كذلك يؤمن بما للجنس من فاعلية، بل من جبرية تشترك مع قوى أخرى في توجيه الإنسان وتشكيل سلوكه، بل في إرغامه أحيانا وجبره على بعض الأمور . ومن هنا نرى الكاتب كثيرا ما تصبغ أعماله – وبخاصة القصصية – صبغة جنسية صارخة ، حيث يتخذ من عنصر الجنس محورا أساسيا تدور حوله القصة، أو محركا رئيسيا تندفع به الشخصيات فيها. وكثيراأيضا ما يكون ذلك لا

بهدف التحليل والتعليل ورد المسببات إلى الأسباب، وإنما يكون بهدف الرمز أو الإسقاط أو رسم معادل موضوعي لما يريد الفنان أن يقول عن أمر بعيد كل البعد عن موضع الجنس .

سابعا – تعدد الأبعاد : فنحن نرى بوضوح أن يوسف إدريس بسبب ما تقدم متعدد الأبعاد في أعماله الفنية . فالقصة الواحدة من قصصه مثلا يمكن أن تؤخذ على ظاهرها ، فنفهم باعتبارها تحكى بطريقة فنية حادثة محلية وقعت في قرية أو مدينة، وحكايتها قد جاءت بقصد الإمتاع الفني أو الإثراء الوجداني أو ما الى ذلك. [85]

[85]. دراسات أدبية ، د. أحمد هيكل ، ص :196-198

تعريف وجيز على رواياته الواقعية

كما ذكرت آنفا أن الروايات التي كتبها الكاتب الروائي يوسف ادريس فهي منحصرة تماما في أربع روايات "البيضاء" و"قصة حب" و "الحرام" و "العيب" . وهذه الروايات كلها تنبع من النبع الواقعي وتتمثل النزعة الواقعية بالمعنى الحقيقي للكلمة. أما قصة حب و"البيضاء" تتناولان الى حد كبير موضوعا واحدا، فكلتاهما تعالجان موضوع السياسة والحب . تدور القصة الأولى حول البطل الشاب "حمزة" الذي يخوض في غمار النضال ضد القوات البريطانية المحتلة في منطقة قناة السويس والأحداث تقع في فترة 1950-1952 يقع حمزة والآخرين تهتم بقضية الكفاح وقد جمعت التبرعات بالمدرسة وأتت بها لتعين بها الكفاح والفتى يصارحها حبه العميق لها، فتغتضب وتعنفه وتتركه لأنه يبدو غير مخلص للقضية وفي البداية يشعر حمزة بالخجل ولكن العلاقة تستأنف عندما تعترف المدرسة بأنها تبادله الحب وتطمئن وترتاح إلى أن الالتزام بقضايا كبيرة لا تعنى أبدا إهمال الذات إهمالا تاما، فلا بأس من رشفات الحب وسعادته الغامرة.

ورواية "البيضاء" التي تبدو أن بعض أجزائها مستمدة من سيرة المؤلف الذاتية هي أكثر تعقدا ودقة من الأولى. يحى، طبيب بالمهنة، ويرتبط بجماعة الماركسيين ناشطين في اصدار صحيفة راديكالية، يساهم فيها بمقالاته وتلقى عليه مسؤلية تدريس فتاة اغريقية إسمها "زانيث" التي تنتمى الى الجماعة نفسها. وبعد مدة يسيرة يقع في حبها ولكنها تخبره بأنها متزوجة وهي لا تحبه ولكن كلما زادت الفتاة بعدا عنه، ازداد بها تعلقا وغراما وهياما ولا ينتهى هذاالهيام والغرام إلا عندما تغادر الفتاة البلاد.

قد جرى الاهتمام في الرواية بتحليل مفصل ودقيق لعواطف الفتى ومشاعره تجاه الفتاة والتأثير المدمر التدريجي الذي يخلفه هيامه على شخصه وعمله، ثم على علاقته مع زملائه الماركسيين وخاصة محاولته دائما بأنه لا يتبع الأحكام الصادرة من الهيئة العليا اتباعا أعمى واصراره على حريته وحقه في اتخاذ القرار الحر المستقل.

في الروايتين الأخريين، يتحول يوسف ادريس من مشكلة العلاقة بين السياسة والحب ويركز على المسائل الأخلاقية. رواية "العيب" تحكي قصة الفساد البطئ، والمعتمد لإمرأة بريئة ومستقيمة أخلاقيا،ثناء واحدة من الجماعة الصغيرة للفتيات التي يتم تعيينها في قسم حكومي لم يتم فيه قبل ذلك توظيف امرأة فقط. نظرا الى كونها امرأة وحيدة بين الموظفين في المكتب، إنها ترغم على أن تشعر بالحرج من قبل الرجال الذين يرونها بمزيج من شعور اللهووالتسلية والاستياء والامتعاض، وبوجه خاص لأنهم يخافون منها أن لا تطلع على تجارتهم المشبوهة الخاصة ببيع الرخصات بطريقة غير مشروعة، يرى اليها الجنيدي، وهو رجل متزوج وصاحب زوجتين، بعين غير محترمة، وحينما يسألها الزملاء بأن تنضم اليهم في التجارة المشبوهة وقبول الرشاوى، ترتاع للاقتراح وتشعر بالخزى وتشكو إلى الرئيس، لكنه يردها قائلا أن رواتبهم وحدها لاتكفي لسد نفقات البيت وهم مضطرون في ذلك وبدورها المرأة الوحيدة تقرربأن تواصل عملها وتهتم بشأنها، دون الآخرين.ولكن بعضا من زملائها يسمع منها تتحدث إلى بعض زميلاتها أنها في حاجة ماسة إلى النقود لدفع الرسوم المدرسية لأخيه حتى يمكن له الجلوس في الاختيار ومن ثم الجنيدي يقرربأن تنصب لها الأحبولة، ويرسل إليها زبونا خبيرا وهو يطمئن أولا على أن لا يكون في غرفتها سواها أحد، يذهب الزبون ويصنع في الدرج النقود مستخفيا وهي تقبلها بدون حرج أو احتجاج، وعندما يرجع زملائها إلى الغرفة هي تدرك بأنهم يعرفون عما جرى وتشعر بالارتياح بأنها الآن أصبحت تنتمى إلى الجماعة وتدهورها المعنوي يبلغ قمته عندما ترضى بالخروج مع الجنيدي. مرة أخرى يقدم يوسف ادريس تحليلا دقيقا لأحاسيس البطلة إزاء الأمور السرية التي كانت تحدث وراء الكواليس في المكتب، إزاء جوالفساد الأخلاقي الذي كانت تتنفس فيه، إزاء شعورها المتنامي بالتدريج نحو قوى الشر التي كانت تضيق عليها الخناق رويدا رويدا.

كل ذلك جرى تصويرها بأسلوب مرن دون لجوء إلى الأحداث المثيرة أو الميلو دارما والمفاجآت.

أما رواية "الحرام" فهي تعتبر أهم رواياته قاطبة، تقع أحداثها في الريف، وهي لا تدور مثل سابقاتها حول شخصية رئيسية واحدة بل حول أفقر الطبقات وأكثرها انحطاطا في المجتمع المصري، هي طبقة الترحيلة التي يهاجر أبناءها موسميا إلى كل مكان يطلبون لبناء الشوارع أو حفز الأرض ويدفعون أجرا يوميا ضئيلا، وحالهم أسوأ من حال الفلاحين المحرومين من الأراضي، وأكثر من ذلك أنهم موضع احتقار للجميع ويعاملون لا معاملة الإنسان بل شبه الإنسان. ولكن هذاالموضوع الخاص بالظروف المروعة للعمال المهاجرين الذي وصفه المؤلف بأسلوب مثير للمشاعر متدفق للحياة والحيوية، جزء من الشبكة الواسعة المعقدة للموضوعات التي تجعل "الحرام"

"One of the most skilled organized Arabic Novels with an impressive dense texture".[86]

فالحرام تصور مأساة احدى عاملات الترحيلة، مأساة عزيزة، يعثر خفير التفتيش على لقيط ميت بجوار الترعة فينتشر الخبر كالنار في الهشيم بين طائفة العاملين بالتفتيش، وبدون ذرة من شك يجزم أهل التفتيش بأن الخاطئة لا بد أن تكون من نساء الترحيلة، ولكن بعد فترة يبدأ الشك يساورهم ويتلاعب بهم، " حتى لقد وصل الأمر إلى أن يشك الأب في ابنته لمجرد وعكة ألمت بها فلزمت الفراش" ثم تنجلى الحقيقة ويزول كابوس الشك المروع المطارد وتكشف أن الخاطئة فعلا هي من الترحيلة. كانت المسؤلة عن قوتها وقوت زوجها المريض وقوت طفليها، اشتاقت نفس الزوج المريض إلى أن ياكل البطاطا فذهبت إلى حقل أحد ملاك الأراضي تسال بعض أزارعها حفرا وهنا حاول ابن صاحب الأرض اغتصابها، فقاومت "لكنها في النهاية استسلمت لأنها لم تكن تتمكن من الهرب من جهة، وبفعل الحرمان الجنسي من جهة أخرى" بسبب مرض الزوج.

---

[86] A short History of modern Arabic Literature. M.M Badawi P: 152- 153-154 .

وبعد ما انكشفت الحقيقة، بدت لأهل التفتيش، أن هما ثقيلا انزاح عن صدورهم، فاطمئنوا على بيوتهم كما اطمأن مسيحة افندى على ابنته "ليندا" التي شك في سلوكها، وأذنها بالذهاب الى زوجة المؤذن التي كان ينكرها أولا، لاعتقاده فيها أنها خائنة لزوجها وقوادة وكانت البنات فعلا تذهب إليها للقاء فتى التفتيش اللعوب وهي في نهاية المطاف تهرب معه. أما عزيزة، فإن عواطف أهل التفتيش قد استحالت إزاءها من استنكار إلى تعاطف، إنها ماتت صريعة حمى النفاس واعترفت في هذيانها بجريمتها كما أخبرت بأنها وضعت يدها على فم الرضيع مخافة الفضاحة دون أن يدور بخاطرها أنه يمكن أن يؤدي إلى موته.

فأين.....

الحرام إذن في رواية يوسف ؟ أهو الظلم الاجتماعي والظروف القاسية التي تدفع بامرأة مثل عزيزة إلى الخطيئة ؟ أم هو القانون الأخلاقي السائد في المجتمع والذي يسمح لأهل التفتيش رجالا ونساء أن يمارسواالرذيلة في الخفاء ثم يصممون شفاههم عجبا من زلة امرأة مثل عزيزة ؟ أم هو حقا زلة عزيزة؟ "[87]

---

[87]. الرواية العربية، ببلوجرافيا ومدخل نقده ، الدكتور حمدي السكوت ، ص : 84-83

الباب الثالث

دراسة نقدية للروايات المنتخبة ذات الطابع الواقعي

الفصل الأول : دراسة نقدية لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ

الفصل الثانى : دراسة نقدية لرواية" الأرض" لعبدالرحمن الشرقاوى

الفصل الثالث : دراسة نقدية لرواية "الحرام" ليوسف ادريس

الفصل الأول

دراسة نقدية لرواية "زقاق المدق"

رواية نجيب محفوظ "زقاق المدق" من أهم وأروع الروايات العربية التي تتمثل النزعة الواقعية بصورة واضحة وقوية. وعلى الرغم من الروايات الأخرى التي تحمل في طياتها عنصر الواقعية، زقاق المدق تحتل مكانة بارزة فيما بينها وتتجلى أثرها أثرا بعيدا وكبيرا في الرواية العربية الحديثة.وإذا رأينا رواية "زقاق المدق" من هذاالمنظور الواقعي وجدناها تعبر عما وقعت وحدثت في المجتمع المصري عامة وزقاق المدق خاصة من خيرها وشرها، وثقافتها وجهلها، وطرافتها وغرائبها، وحسنها وقبحها، وأفراحها وأتراحها وآلامها ومصائبها بصورة فوتوغرافية وبراعة مدهشة.

تبدأ الرواية بتقرير زقاق المدق ومجده الغابر : " تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، وأنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري. أي قاهرة أعنى؟ الفاطمية؟ المماليك؟ السلاطين؟ علم ذلك عندالله وعند علماء الأثار، ولكنه على أية حال أثر، وأثر نفيس، كيف لا وطريقة المبلط بصفا ئح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصنادقية ، تلك العطفة التاريخية، وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تزدان جدرانها بتهاويل الأرابيسك، هذا إلى قدم باد، وتهدم وتخلخل، وراوئح قوية من طب الزمان القديم الذي صار مع كرورالزمن عطارة اليوم والغد".[88]

تدور الرواية حول "زقاق المدق" أحد شوارع المزدحمة في القاهرة، والذي هو صور مصغرة عن العالم. من خلال هذه الرواية يتمثل نجيب محفوظ الإطار الثقافي لهذاالحي

---

[88]. زقاق المدق ، نجيب محفوظ، ص : 15

الشعبي كما يعرض وصفا دقيقا للثقافة العربية بواسطة عديدة من الشخصيات التي تمثل دورا بارزا في بناء الرواية.

تقع أحداث الرواية في عام 1940م ، نفس الزمن الذي شهد النكبات والكوارث والنكسات والتقلبات للحرب العالمية الثانية. وهذا هو الجو الذي يسوده الحرب العالمية الثانية تماما.كانت البلاد آنذاك تئن تحت وطأة الاحتلال بالإضافة إلى ويلات ومعاناة الحرب المفروضة عليها دون أن تكون لها فيها فائدة ما. إن الشعب المصري بأكمله تحمل شرور الحرب ولكن متاعبها علَى الطبقات السفلى والكادحة كانت أكثر وأشد. وفي هذه الأوضاع المكفهرة والدروب المظلمة والظروف القاسية تجري أحداث الرواية في تسلسل زمني . الرواية تدور حول أنواع وأنماط شخصية متباينة الأمزجة، متناقضة الأفكار، متضادة الطبائع والأهواء، متفاوتة الأحلام والأماني. قد قام نجيب محفوظ هذاالزقاق بشكل مفصل: الزقاق مع سكانها، رجالا ونساء، وعملهم وأوقات فراغهم، وعلاقاتهم الاجتماعية المعقدة، وهذا كله يشكل مجتمعا متماسكا وثيقا. قد قدم نجيب محفوظ هذا كله ببراعة مدهشة حتى يتحلق القارئ مع الكاتب في عالمه الذي صنعه بقوة فكره وروعة خياله.

يرسم نجيب محفوظ هنا رواقا من الشخصيات المختلفة. هذا هو المعلم كرشة صاحب القهوة ، المصاب بالشذوذ الجنسي المتمتع بالفضائح ومشاجراته الصاخبة مع زوجته سمية عفيفي.

ثم هو السيد علوان الثري الغنى صاحب صينية الفريك المحشوة بجوزة الطيب، الذي يكتظ بيته أبناء وبنات وأحفادا، لم يسترق النظر إلى حميدة التي هي في عمربناته ويداعب خيال الزواج بها رغم ما يشعربه من الفوارق الطبقية بينه وبينها، ولا بأس حتى وإن كانت هي مخطوبة. وهنا زيطة صانع العاهات للشحاذين وهو يكسب رزقه من تزييف العيوب على أجساد الفقراء لتمكينهم من أن يصبحوا شحاذين، وهو كان يصنع العاهات، ليست هذه العاهات الطبيعية المعروفة، ولكن عاهات صناعية من نوع جديد

يقصده الراغبون في احتراف الشحاذة، فبفنه العجيب- الذي يحشد أدواته على الرف، يصنع لكل ما يوافق جسمه من العاهات. يجيئونه صحاحا ويغادرونه عميانا وكسحانا وأحدابا وقسعانا ومبتورى الأذرع أو الأرجل. وقد اكتسب البراعة في فنه من تجارب الحياة التي صادفته. وعلى رأسها جميعا اشتغاله عهدا طويلا في سرك متجول، ولاتصاله بأوساط الشحاذين- اتصالا يرجع عهده إلى صباه حين كان يعيش في كنف والدين شحاذين.

والسيد رضوان حسينى الذي اختطف الموت أولاده واحدا بعد الآخرلكنه سعيد راض بما قدر له الله وهو موئل القلوب المضطربة والمستشار الناصح الأمين لدى الضرورة.

والشيخ درويش الذي كان يعمل مدرسا للغة الانجليزية في احدى مدارس الأوقاف ولكن لأسباب فقد عقله الصاحي ولكن العقل الغائب موجودا ويأتي بين الفينة والفينة بتعليقات يردفها بالكلمات الانجليزية وتهجياتها وتكون ذات معان ودلالات، ثم ياتيه الوحي باللغتين العربية والانجليزية. وهنا ست سنية العفيفي الأرملة، يترنح قلبها بنشوة الحب بعد جدب وموات وخمود سنين كثيرة ويتلوى بحلم الزواج الحلو، ولابأس لوكان الرجل المرتقب في عمر إبنها، لوكان لها إبن. وهذا هو عم كامل الساذج بائع البسبوسة الذي حياته نوم طويل. وهويغط في نومه والمذبة في حجره، لا يصحوإلا إذا ناداه زبون أو داعبه عباس الحلوالحلاق. والدكتوربوشي الذي يصنع طاقم الذهب والذي يذهب مع زيطة إلى المقبرة لانتزاع طاقم الذهب من فم شخص قد مات قبل يوم ويقبض عليها ويزجان في السجن. وهنا حسنية الفرانة التي تضرب زوجها جعدة أكثر من مرة كل يوم على أقل هفوة حتى يبكي ويعلو صراخه في الزقاق. وبين هذه الشخصيات الحية البارزة هنا أم حميدة، الخاطبة ذات لسان لايكف ولا يمسك ولايكاد تفوته شاردة أو واردة عن شخص من شخوص الحي أو بيت من بيوته فهي مؤرخة رواية لأخبار السوء- على الغالب- معجم المنكرات. وهنا لا شك حميدة الجميلة البهية، نجمة الزقاق، ومهوى الأفئدة، حميدة الطامحة التي هي في زقاق المدق وهي ليست منه، بفكرتها ونقمتها عليه وتقرزهامنه،

حميدة الطامحة التي يكاد يصدق عليها "إياك وخضراء الدمن" حميدة التي تتجرف في سعيها وراء المال والقوة إلى بيت الدعارة..... ومع أن الرواية حاشدة بالشخصيات ولكن حميدة تكاد تكون البطلة الرئيسية، وهي تمثل ثورتها على الحياة الرتيبة المملة، على حياة الفقر والبؤس، وهي تمثل التطلع إلى حياة أفضل، حياة أجمل.

وهي كانت مخطوبة لعباس الحلو صالونة الحلاقة الذي يحب الزقاق على خلاف حسين . عباس الحلو كان شابا وسيما في الزقاق، فشجعه صديقه ابن كرشة على ترك مهنته والعمل في معسكر للجيش البريطاني لتحسين وضعه المالي لكي يكون مستحقا بجمال زقاق، أي حميدة مرحة طموحة التي هي مخطوبة له ولا ترغب في أن تعيش حياة الفقروالحرمان مثل غالبية سكان زقاق.وبعد وقت قصير عن مغادرة عباس الحلو شجعتها أم حميدة على التخلف بوعدها وقبول اقتراح من رجل متزوج غنى يبلغ الخمسينيات من عمره ويمتلك بقالة في الزقاق ولكن خطة زواج حميدة مع صاحب البقالة باءت بفشل بسبب مرض خطير مما جعل صاحب البقالة عاجزا جسديا. ولم يمض وقت طويل بعد ذلك،أنها قد غادرت الزقاق مع "فرج ابراهيم" شاب غنى.

ولكن اكتشفت لها الحقيقة بعد فوات الأوان، أنه هو القواد الذي يدير مدرسة لتدريب العاهرات ذات الدرجة العالية للترفيه عن الجنود البريطانيين. عاد عباس الحلو من السفر حاملا أحلامه معه ممنيا نفسه أن يصبح زوجا للمرأة التي أحبها ولكن قصة هروب حميدة مع ذلك الرجل أفزعته وقلبت كيانه. فيفاجأ حينمايعلم من اختفاء حميدة ، وهنا يتعهد بمعاقبة المغرر لها لأن جذوة الانتقام والثأر تتغلغل في أعماق صدره أشد وأقوى. وحدث أن وجدها ذات يوم عن طريق الصدفة وأصبح مروعا برؤية طريقة ملابسها، والماكياج الثقيل الذي استعملته. وإن حميدة تنظم اللقاء لعباس حلو مع المغرر لها في حانة، المغرر الذي تكره آنذاك، فيصل عباس الحلو الى الحانة في وقت مبكر قليلا،يرافقه أحد الأصدقاء وهنا يجدها مسلية للجنود البريطانيين فيصبح غاضبا ويلقي زجاجة في وجهها ولكن على الفور، الجنود البريطانيين قد انهالوا عليه بالضرب حتى الموت.

وهذه هي واحدة من التغييرات الحزينة العديدة فقط في حياة سكان الزقاق والتي تدفع السيد رضوان في نهاية الرواية للذهاب الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ليستغفر جميع خطاياهم.

الحبكة الرئيسية للرواية تظهر التأثير المأساوي الذي سلط العالم الخارجي على هذاالمجتمع بالإضافة الأثر التدميري الذي فرض وجود جيش الاحتلال البريطاني على مصر خلال الحرب .

هذه هي قصة رواية "زقاق المدق" ولم يكن نجيب محفوظ يقصد وراء كتابتها إلا أن يجسد القضايا والمشاكل التي كثيراما استلفتت أنظارالروئيين والأدباء العرب الذين قدموا آراءهم وأفكارهم من نواح وأبعاد وزوايا ثقافية مختلفة. وهذه القضايا هي قضية الحرب وقضية الفقر والإفلاس وقضية الجهل وقضية المرأة وغيرها من القضايا الهامة الأخرى التي قدمها نجيب محفوظ بأحسن طريقة.

ما مدى تمثيل الرواية للأدب الواقعي

مما لا شك فيه، أن رواية زقاق المدق" ليست من نسيج الخيال اخترع المؤلف أحداثها وأشخاصها ومكانها وزمانها..... فالرواية ليست سوى تاريخ لمجموعة أشخاص وأحداث، عاشها وعاصرها المؤلف، ولكن بدلا من أن يبقى على الأسماء كماهي، أحدث فيها تبديلا وتغييرا، وهذا يعنى أن نجيب محفوظ قد راعى في ذلك أهم ما يميز الأدب الواقعي، ألاهو: الانطلاق من مجتمع معين، وزمان معين ونسج الأحداث على غرار ما حدث،إضافة إلى عامل آخر، وهوالتركيز على الوجه الداكن من الحياة الاجتماعية، وما يستتبعه من نكمات في حياة الأبطال، ومشاعر انقباض وامتعاض لدى القارئ، وهو ما أكدت عليه المدرسة الواقعية الانتقادية بشدة.

وإذا أردنا جوابا أوفى، فإننا نجد معظم أبطال الرواية ينتمون إلى المذهب الواقعي الذي لا يميز بين الخير والشر، إلا بقدر ما يؤدي ذلك إلى إفادة صاحبه، وإمتاعه.....

رواية "زقاق المدق" هي رواية تصور عن المجتمع المصري بكل صدق وأمانة إثرالحرب العالمية الثانية كما يتجلى فيها موقف المصريين الذي اتخذوه بعد الحرب ورجوع الانجليز من جديد واستيلائهم على الأريكة المصرية بصورة جبارة وقهارة أبشع من الماضي. نجد في هذه الرواية أحوال أهل زقاق المدق وأحلام ساكنيه وأمانيهم وآلامهم في تصوير صادق شامل، صور فيها المؤلف صورة الويلات والكوارث الإنسانية التي جربتها الحرب، والإنهيارالخلقي والضعف الحكومي والفسادالاجتماعي والانتهازية السياسية في صورة واضحة شفافة في لغة فصحى.

ومن الجديربالذكر أن هناك تقاربا موضوعيا وزمنيا بين "خان الخليلي" و"زقاق المدق" إلا أن النزعة الإنسانية بشكلها الشامل يتغلب على زقاق المدق أكثر من خان الخليلي بمختلف أنواع من الشخصيات. وهذه الشخصيات لم يتعامل معها المؤلف ككتلة متجانسة متشابهة بل هم ينقسمون الى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: يتطلع لملاذ الحياة المادية التي تعيشها القاهرة الجديدة خارج الزقاق، وهؤلاء يلفظهم الزقاق خارجه ويتحركون في سرعة إلى الكارثة والمأساة.

القسم الثاني: فيرضى بالحياة في الزقاق قانعا بما قسم له، وهؤلاء يستمرون في معاناة حياتهم بخيرها وشرها حتى الموت في صمت، فاذا زاد طموح أحدهم وتطلعه، كان ذلك مؤشرا لكارثة تصيبه وترده إلى صوابه.

أماالقسم الثالث: فهم الذين قهروا في نفوسهم الشهوة والتطلع، وهؤلاء يمثلون الفئة الناجية ويسيرون الى الطريق الوحيد للخلاص في عالم نجيب محفوظ.[89]

لجأالقسم الأول والثاني إلى المادة فقد خابا وخسرا خسرانا مبينا، وأما القسم الثالث فعكف على روحانيته فتشرف بنجاح. الشخصية المتمثلة للقسم الثالث هو "السيد رضوان الحسيني" الصوفي القانع بما قسم المليك له. ومعظم الرواية يدورحول الفئة المادية والتي مثلتها حميدة على الأخص.

ومن المعروف أن هذه الرواية خيرمثال للرواية الواقعية النقدية، تعالج قضايا اجتماعية وخوالج نفسية وأحداث حربية وأكوامن انسانية وحقائق سرية في شكل أدبي متكامل، ولا ريب في أن القصة تدور حول "حميدة" وانحرافاتها وميلها الشديد الى الجاه والمال والبروز وحب الفتى عباس الحلو، غير أنها تصور المجتمع المصري في ذلك العهد تصويرا واقعيا، فكأنها مرآة صافية للحياة وتعبيرجميل من مشاكل الحياة المتعددة لأهالي زقاق المدق، مع أن بعض الجوانب والأطراف في الرواية قوي وبعضا منها ضعيف حسب ما يقتضيه الشعور الفنى الأدبي، ولكنها بمجموعاتها تتكلم عن الحياة الكاملة، ولولم تكن هذه الرواية تاريخيا غير أنها تحمل في طيها موادا كثيرة تاريخية. ولولم تكن هذه الرواية وسائل للوثائق الوطنية والأحداث التاريخية مليئة بإشارات واضحة وضئيلة عنها.

الرواية مليئة بالشخصيات الصادقة، كلها تتمتع بقدركبيرمن الحيوية في الفعل حركة وقولا. منها عباس الحلو، شاب حماسي الحس ويحب فتاة من أعماق قلبه حبا جما ويريد أن يفعل كل ما تريد حبيبته حتى إنه ليهاجر إلى الجيش البريطاني لكسب الأموال، وهو صافي الضمير، نقي القلب، حماسي الفؤاد، يحب ويحلم بحياة سعيدة مع حميدة.

---

[89]. الرؤية والأداة، عبدالمحسن بدرطه، ص: 337-338

يصف نجيب محفوظ ملامحه البدنية:

"شاحب متوسط القامة، ميال للبدانة، بيضاوي الوجه، بارز العينين، ذو شعرمرجل ضارب الصفرة على سمرة بشرته، يرتدي بدلة، ولا يفوته لبس المريلة اقتداء بكبار الأسطوات".[90]

من أول الرواية إلى آخرها شخصية "عباس الحلو" شخصية مظلومة مخدوعة لبساطة ذهنه وصفاء قلبه وفوران عاطفة الحب فيه. يصف المؤلف حب عباس الحلو بنفسه فيقول: "سكر قلبه برحيق نشوة ساحرة لم يكن له عهد بمثلها من قبل. كان محبا صادقا ملتهب العاطفة، وكان يشعرحيال نظرتها الجميلة بخضوع كلي، ولذة لا حد لها وحب لا يبيد. أجل– كان أمثاله من الفتيان مولعا بالنساء.... عامة، ولكنه كان كالحمام يحلق في السماء ويطوف بأطرافها ثم يقع في النهاية على برجه ملبيا صفيرصاحبه، فهي دون النساء جميعا أمله المنشود أجل لم يعد مخاطرته خائبة، وتفتحت له أكمام الأحلام عن زهر الآمال فعاد منتشيا مسرورا فرحا بحبه وبشبابه.[91]

والشخصية الثانية البارزة هي "حميدة" التي تأخذ الحظ الأوفرللقصة وتمثل دورا مهما بالنسبة الى الشخصيات الأخرى، وهي شخصية لفتاة يتيمة جميلة خلابة، تطمع إلى مال وجاه وتملك نفسا متوقدة حماسية، تتطلع إلى الأمام وإلى كسب العيش الرغيد الهانئ، تحب الهناء وتنفر من التقشف والفقرولا يباليها إلا الحصول على ما تحبها من رفعة ومكان من وفرة العيش والحياة المليئة بالرخاء.فأكبرأمنيتها أن تنال المال واللباس الفاخروتروي غلتها وتشبع نفسها عن أي طريق ممكن وهذا الذي يقودها إلى الرضاء أولا بالتزوج بعباس الحلو بعد ما تسمع بأنه سيسافر إلى الخارج لأجل كسب الأموال

---

[90]. زقاق المدق، نجيب محفوظ، ص: 6

[91]. زقاق المدق، نجيب محفوظ،ص: 41

الطائلة في الجيش البريطاني، كما كان هذاالمحرك لها لقبول الخطبة من السيد علوان مع ضعفه وهرمه .

هنا يصف المؤلف واصفا "حميدة" وصفا كاريكاتيريا:

" كانت في العشرين، متوسطة القامة، رشيقة القوام، نحاسية البشرة، يميل وجهها للطول، في لقاء ورواء، وأميز ما يميزها عينان سوداوان جميلتان، لهما حور بديع فاتن، ولكنها اذا اطبقت شفتيها الرقيقتين وحدت بصرها تلبسها حالة من القوة الصرامة لا عهد للنساء بها، وقد كان غضبها دائما مما لا يستهان به حتى في زقاق المدق نفسه".[92]

حميدة هي ليست شخصية نادرة أو شخصية غيرمعقولة جاء المؤلف بها للترفيه عن القارئ بل هي تصوير صادق للمجتمع المصري العربي الذي ابتلي بالحرب والاحتلال الظالم والغاشم والفقرالمهلك والجهل المطبق كما هي تعبيربارع عن الحياة الرديئة السفلية من جري وراء مال وشهوة واتخاذ سبل غير شرعية من نفاق وسرقة وسمسرة وما إليها من المعاني الدنيئة لكسب قوت اليوم وإطفاء شعلة الجوع في النفس.

ولعل سيكون مثيرة للفضول هنا ما كتب رجاء نقاش عن شخصية حميدة واعتبرها رمزا لمصر كلها، يقول رجاء نقاش: " يلوح للبعض أن "حميدة" في زقاق المدق، ليست مجرد شخصية نسائية عادية..... بل هي رمز لمصر كلها.... ومأساتها هي مأساة مصر، وفي اعتقادي أن هذاالتفسير يبدو معقولا إلى حد كبير.[93]

أما شخصية السيد رضوان الحسيني وهي شخصية إسلامية معتدلة قامت بدورها في البناء الروائي. وإنه يعرف بإخلاصه وتواضعه وعدم غضبه وإظهارنصحه لكل واحد

---

[92]. زقاق المدق، نجيب محفوظ، ص:27-28

[93]. أدباء معاصرون، رجاء نقاش، ص: 17

حتى فقد ابتساماته لتخفيف وطآت الناس عن آلامهم ومصائبهم، تظهر شخصية رضوان الحسيني بصفته الناصح الأمين عند ما يقرر عباس الحلو أن يذهب للعمل في معسكرالإنجليزباركه السيد رضوان الحسيني وقال له ناصحا:

"اقتصد ما يفيض عن حاجتك من مرتبك، واحذرالأسراف والخمرولحم الخنزيرولا تنس أنك من المدق وإلى المدق راجع".

وقال له الدكتوربوشي ضاحكا:

" ستعود الينا إن شاءالله من الموسرين، ولابد عند ذاك من خلع أسنانك المسوسة هذه وتركيب طقم ذهبي يليق بالمقام".[94]

ومما يجدر ملاحظته إن نجيب محفوظ لم يكن غير معقول في تقديم الفعل في روايته بل أفعال وأعمال شخصياته تبدوحقيقية ومترابطة بما يمكن وقوعه في المجتمع.

"الفعل في رواية "زقاق المدق" خاضع لمنطق الفعل البشري والممكن وقوعه، وإذا حدث ما يعتبر مصادفة فهي مصادفة مقبولة فنيا كمصادفة التقاء عباس الحلو بحميدة في نهاية الرواية، وتعرفه عليها، وإن كنا نلاحظ أن تقسيم الحياة إلى حياتين متناقضتين تتمثل في حياة داخل الزقاق وحياة خارجه لا يخلو من هندسية ويظل المؤلف حريصا على توظيف أسماء الأمكنة كأن يجعل القواد يسكن في شارع شريف، وإن كان موقفه في هذه الناحية أخف مائة مرة من موقفه في خان الخليلي أو القاهرة الجديدة ".[95]

---

[94]. زقاق المدق، نجيب محفوظ،ص: 117

[95]. الرؤية والأداة، عبدالمحسن بدرطه، ص: 348

ولم تقتصر هذه الرواية على تحقيق انجازات طيبة على مستوى الإنتاج الروائي في مطابقة الفعل بالواقع، بل إنها حققت تطورا ايجابيا، يتمثل في القيام بدور مماثل في تصوير الشخصية.

يقول عبدالمحسن بدرطه في كتابه "الرؤية والأداة":

حاول المؤلف رصد حركة "الزقاق" الداخلية، والخارجية بصورة متلاحمة ومتوازنة ولذلك سقطت فكرة "البطل" في رواية "زقاق المدق" وهي فكرة تبدو مفتعلة إلى أكبر حد بالنسبة للبناء الروائي الذي يهدف الى خلق عالم يوحي بالواقع، وذلك حين يختارالمؤلف شخصية واحدة من بين شخصيات عديدة تقوم بالفعل لتستقطب وحدها اهتمام المؤلف وليركزكل الأضواء عليها، لا لسبب إلا لأنه أراد ذلك، بحيث تبدوهذه الشخصية وحدها في عالم الرواية وكأنها الشخصية الوحيدة التي تعيش وتتحرك وتفعل، وتقف باقي الشخصيات في الظل بلاعمل ولا فعل ولاعمل لها ولادور إلا دور التابع للشخصية التي أراد لها المؤلف أن تكون شخصية رئيسية. تتجاوز شخصيات "زقاق المدق" هذاالموقف المفتعل، فالمؤلف يوزع الإهتمام والفعل عليها جميعا وبصورة شبه متساوية، وهي تشترك جميعا في الحركة والفعل وفي الحضور على امتداد الرواية، وينظم المؤلف حركتها جميعا كقائد ماهر لأوركسترا يوزع الأدوار على العازفين حسب مقتضيات الحن".[96]

المؤلف يتناول هذا الإهتمام المتوازن لحياة الطبقة المتوسطة، فيعبر عن همومها وآلامها ومشاكلها في الحياة، ويتكلم عن أحلامها وتطلعاتها في المستقبل، كما يصور حياة الأسرة المصرية البسيطة في علاقاتها الداخلية وامتداد هذه العلاقات في المجتمع المصري وخصوصا في الأحياء المصرية الفقيرة التي يعيش فيها المصريون بكل بساطة وسهولة

---

[96]. الرؤية والأداة، عبدالمحسن بدر طه، ص: 348-349

بلا تعقيدات الحياة الحديثة التي سادت في المجتمع الغربي، ولذلك اتسمت هذه الأعمال بالواقعية الحية التي تعبر عن الحياة الإنسانية الحقيقية بلا مبالغة.

قد أشار الأستاذ واضح رشيد الندوي في كتابه " أعلام الأدب العربي في العصر الحديث":

" يصور الأدب مجتمعه تصويرا جميلا مؤثرا ويقدم صورا حية ماثلة بين يدي القارئ يشهدها ويراها ويكاد أن يخاطبها ويتمتع بأحاديثها ووقائعها، ويسائرمسائلها ومشكلاتها ويتعاطف معها زاعما بأنه واقع حقا، وهو يشير إلى قدرته على الأسلوب القوي.[97]

وأما ما طرأ على المجتمع من تغير وتبدل لاينظر المؤلف إليهما إلا كشروفسادولا يذكرهما إلا بنظرة سوداوية، فالرواية تؤكد الى حد كبير هذه النظرة، خاصة والمؤلف يرى أن الحضارة الحديثة تتورط وتنزلق باستمرار إلى عالم مادي شهواني، يغرق الإنسان ويسوقه الى الكارثة ولا يساعده على خلاص روحه، وكل تغير في الرواية هو تغير الى الأسوأ، أو ليس غريبا أن يتحول "المعلم كرشة" من ثائر ومناضل وطني يمارس العنف الثوري ضد جنود الاحتلال، إلى تاجر حشيش شاذ جنسيا وسمسارإنتخابات.

" يتحول "المعلم كرشة" الذي اشترك فعليا في ثورة 1919 والذي أحرق الشركة اليهودية للسجائربميدان الحسين، وكان من أبطال المعارك التي دارت بين الثوارمن ناحية وبين الأرمن واليهود من ناحية أخرى، وبذل في انتخابات 1924م جهذا مشكورا، وصمد ببطولة لمغريات انتخابات 1925م، أليس غريبا أن يتحول هذاالرجل الى سمسار انتخابات،شاذجنسيا وتاجرمخدرات. وقد ادخر المؤلف لأغلب شخصيات الزقاق ضربة قاسية أعدها لكل شخصية منها بعناية بالغة ليدفع بها إلى الموت أو إلى الخراب، فحميدة تتحول إلى عاهرة، ويتحول عزاؤها في حب القواد إلى سراب، حتى لتغرى الحلوباغتياله

---

[97]. أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، واضح رشيد الندوي، ص : 114

وأعد المؤلف للحلوهذه الميتة القاسية وهو المسالم طول حياته. وأسلم زيطة والدكتور بوشي للسجن وأوشك أن يصل بسنية عفيفي للجنون بعد أن اكتشفت مصدرطقم الأسنان الذهبي الذي ركبه لها د. بوشي".[98]

وبرغم هذاالتغير السئ هناك فئة تنجومن قبضة المؤلف، وهي الفئة المتصوفة يمثلاها الشيخ درويش وشخصية السيد رضوان الحسينى.

القضايا الاجتماعية في الرواية

وإذا رأينا في الرواية الى القضايا الاجتماعية من منظورنقدي نجدها تتناول القضايا الاجتماعية الهامة في زمن متعين، تحيط به الحرب والمشكلات الاجتماعية الأخرى وتنعض الحياة الإنسانية المعيشة المضمحلة الضعيفة كما ترزئها الطمأنينة والهدوء النفسي والقلبي، ولكن بشكل عام، سائر الشخصيات للرواية وأفكارهم تتحد على نقطة واحدة وهي الحصول على مال والوفاء بمتطلبات جسدية. ولاتكاد تجتاز هذاالموقف العام ولكن لا يعنى ذلك أن الفكر معدومة أوان عقارب التأني لا تدب في المجتمع، انها تدب ولكنها في دروبها وأهالي أرياف متورطين في الجهل واللاعقلانية. لا يمكن لهم التطلع الى أفكار سامية واسعة. فالفكرضئيل، ضعيف، سطحي، ليس فيه سمو ولا رفعة ولا إشارة إلى لمعان ضوء.

المؤلف ينظر إلى قضايا المجتمع من زاويته الخاصة، ويلتفت الى جوانب معينة فيه. فهو يصور المجمتع في زمان ومكان معينين، عالم بأسره، عالم يدرك عيوبه، ويحس الحاجة

---

[98]. الرؤية والأداة، عبدالمحسن بدر طه، ص: 252-253

الملحة إلى تغييرها..... عالم من الناس والأمل، من الحب والكراهية، من الطموح والهزيمة، من الجنون والتعقل يضطرب بعواطف الناس ومشكلاتهم التي يواجهونها في حياتهم اليومية، وبراعة الكاتب هي في التقاط هذه الصور، ووضعها في شبكة من الخيوط متشابكة ومتكاملة.[99]

وبناء على ذلك كله، نجد هذه الرواية تختلف عن الروايات الواقعية الأخرى من حيث أنها تركز على جوانب رائدة لحميدة بطلة القصة، ولكنها تتناول عدة شخصيات وعدة قضايا وأمور، ولكل منها خطها ودورها، وليست حميدة بطلة القصة في الحقيقة، بل انها هي الزقاق من خير وشر وأسباب السعادة وأنواع الشقاء. أماالروايات الأخرى مع أنها تصور المجتمع المصري تصويراصادقا ناجحا، وتوفر للقارئ أسباب الترفيه ووجهات التفكير غير أنها لا تبلغ مبلغ "زقاق المدق" كما نرى أن الرواية "خان الخليلي" و"القاهرة الجديدة" كلتاهما تدوران حول شخصية واحدة. فالرواية "خان الخليلي" ليست الاسرد أسرة واحدة وشخص واحد له صلة بالمجتمع، والمرادبها من تصوير المجتمع، وكذلك "القاهرة الجديدة" فإنها تكاد أن تكون مركزة على الحياة الأربعة ومنها على الأخص بحياة واحدة، والمراد بها المجتمع وقضاياه المتنوعة.

فأما إذا ننظر الى تنوع الشخصيات فنجدها تنقسم الي فريقين، فريق يستمد حياته وعيشه من داخل الزقاق، وفريق يقيم في الزقاق ولكن ظروف رزقه قد دفعه إلى خارج الزقاق أحيانا التماسا لأسباب هذاالرزق. والشخصيات التي لم تتأثر حياتها وأنقذها المؤلف من كل المصائب التي انهالت على الزقاق، هي الشخصيات التي قنعت بحياتها واستمدت رزقها منه، وعلى رأسهم عم كامل بائع البسبوسة.

---

[99]. الرؤية والأداة، نجيب محفوظ، ص: 252-253

أما سيدات الزقاق فأغلبهن راضيات بالحياة في الزقاق سوى حميدة المتمردة وأمها التي تنتقل إلى الخارج للحصول على الرزق ثم ترجع الى الزقاق من جديد.وتتميز سيدات الزقاق بالقوة اللسانية والجسدية، فحسنية الفرانة دائبة الضرب لزوجها جعدة، وزوجة المعلم كرشة تتصدى له ، وهو المعلم الكبير في المقهى هو وغلامه وأمام الجميع لتصب عليهم نقمتها جسديا ولسانيا.

ويبدو أن المؤلف كان يشعربأنه مقدم على تجربة جديدة، فلم يلجأ إلى أسلوب التداعي أوالمونولوج الداخلي المباشر، ولم يستعمل أسلوب الاسترجاع، وظل أسلوبه في تصوير الفعل يراوح بين التقرير والتصوير، يستعملها معا لوصف نفس الحادثة، ولعله كان يمهد بذلك للأسلوب الجديد. وقد سبق أن لاحظنا أنه يبدأالرواية بتقريرعن الزقاق وينتهي منها بتقرير عنه أيضا وكأنه كان يخشى أن نعجز عن الوصول وحدنا لهدفه من روايته فقرره في أول الرواية ونهايتها بأسلوب لا يحتمل لبسا ولا تأويلا.

دور الشخصيات في الرواية

أما الشخصيات التي قدمها نجيب محفوظ في الرواية تبدو كأنها شخصيات حية تتخذ مكانها في المجتمع وتسكن معنا في الحياة اليومية، وهي شخصيات عادية تمثل الطبقة الوسطى وتمثل أدوارا مهمة في تصوير الحياة الواقعية المنفجرة من حي زقاق المدق. وإذا رأينا رواية "زقاق المدق" من أولها إلى آخرها وجدناها تتجلى فيها نضج فن نجيب محفوظ وقدرته البالغة على إحداث قالب ملائم لكل شخصية، وإعطاء كل منها ما يناسبها من تمثيل وأدوار، ثم قيامه ببيان المجتمع بواسطة هذه الشخصيات المتنوعة تختلف بعضها عن بعضها الآخر.

" من مزايا نجيب محفوظ والتي كان لها أثر بالغ في فنه القصصي والروائي على السواء أنه كاتب يتكلم بصوته ويرى بعينه، ويعيش مصر في كل كلمة من كلماته، يحب مصرفي أشخاصها وأجوائها ومتناقضاتها، وكل ذلك في براءة وبراعة. أما واقعيته أو تناوله

للواقع الذي كان له ألف وجه يصد منا كل مرة على نحوجديد..... هذاالواقع المضطرب المتعدد الجوانب والمتحول في سرعة مذهلة في عصرنا الحديث. قد تناوله نجيب محفوظ مسخرا فنه في التحكيم فيه وبلورته وتكثيفه للتفاصيل التي ينتقيها انتقاءا حذرا وبارعا، أشبه بانتقاء الشاعرللألفاظ والتراكيب حتى يخلص الكاتب الى قطعة منتزعة من الواقع، ولكنها مستخلصة منه كما تستخلص الرائحة من الزهر.[100]

ولإبراز ملامح هذه الشخصيات، يتخذ نجيب محفوظ أسلوب المعالجة البسيطة والمباشرة والمتسمة بالتركيز الحاد على الجزئيات الخارجية، ويتخذها وسيلة لإضاءة الموقف وكشف كل أبعاده. وهذا الأسلوب لايأتي إلا عن الغوص في المسارب الخلفية للموقف أو الشخصية، كما أنه ينتقي التفاصيل التي يلتقطها، ويختار منها ما يستطيع أن يحدد الملمح أو يجسد الموقف أو ينشرالإحساس بالجو العام لمشهد من المشاهد، أو لتحديد طبيعة الزمان والمكان ..... وهذاالانتقاء هو الذي يحقق الفن ويكثف الرؤية ويبلورها في لوحة منها الإحساس والمعنى.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الرواية ليست كروايات أخرى تعتمد على بطل أو بطلين بل إنها تستغرق بطولات اجتماعية كثيرة تؤدي كل منها دورها مع أن بعض هذه الشخصيات تمثل دورا أهم وتأخذ الحظ من الذكر أكثر وأقوى من الأخرى.هذه هي بعض الملاحظات التي سردناها بعض دراسة جادة للرواية ، وبعد هذه الدراسة المتواضعة يستقرلنا الرأي بأن رواية "زقاق المدق" هي رواية واقعية صادقة ، شخصياتها حية نامية موجودة في حياتنا اليومية.

---

[100]. أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية، ص: 339

الفصل الثاني

دراسة نقدية لرواية "الأرض"

كتب هذه الرواية الأديب المصري الكبيروالشاعرالبارع عبدالرحمن الشرقاوي عام 1953م، ليجسد بها قضية الصراع بين الطبقات الحاكمة والفلاحين المزارعين والتي كانت موضوعا ساخنا فيما بين المفكرين والأدباء، وقد تناولت هذه الرواية قضية الصراع بين هذين الطبقتين من الناحية الاجتماعية والسياسية لتشخص الصراع القائم بين الفئتين في أجل صورة وأوضح عبارة.

ولا مجال للشك هنا أن رواية "الأرض" هي أفضل الروايات وأشهرها قاطبة، قداهتم فيها المؤلف بهموم الفلاحين في القرية. وهي تعتبر أول عمل ينطق الفلاحين بلغتهم الحقيقية، ويقدمهم في صورة تفرض على القارئ أن يأخذهم مأخذ الجد، وأن يتعرف عليهم كأناس لهم مشاكلهم وهموهم المضنية ولهم قيمهم ومثلهم التي يضحون بالكثير في سبيلها..... وقد استطاعت الرواية أن تقدم صورة حية صادقة لأسلوب الحياة في القرية من خلال حشد المؤلف لمئات التفاصيل الواقعية الدالة، ونجحت بذلك في أن تقدم القرية على أنها بطلة الرواية وليست فقط خلفية لمأساة وقعت فيها كما هو الحال في "زينب" أوفي "الحرام" ليوسف إدريس مثلا.[101]

وهي أول رواية مصرية تعنى بصراع الفلاح ضد مستغليه كما تشير إلى محاولة عبدالرحمن الشرقاوي الصادقة تجاه كشف الفساد الذي عجزت الثورة عن استئصاله. تعالج الرواية مرحلة الثلاثينات من تاريخ مصرالحديث، وهي مرحلة الانتداب البريطاني

---

[101]. الرواية العربية ببلوجرافيا ومدخل نقده، د.حمدي السكوت، ص: 79

يرأسها "إسماعيل صدقي" الذي كان يحكم مصر ويعمل لمصالح الاحتلال البريطاني. فيحكم "بالحديد والنار" ويلغى الدستور رغبة منه في كسب ود سلطات الانتداب.

وثورة على هذا، فالشعب المصري المشهور بطبيعته الثورية يقوم بالمعارضة بشدة، مع أنه يلاقي أكثر تعرضا لجحيم حكومة صدقي التي كانت تمارس أسوأ أنواع التنكيل بمعارضيها والتي كانت من نتائجها في مجتمع الرواية نقل الشيخ حسونة ناظر المدرسة إلى مكان قصي من القرية وفصل محمد أبوسويلم عن مشيخة الغفرونزع من الشيخ يوسف ملكية نصف فدان لمقاطعة هؤلاء وغيرهم انتخابات حزب الشعب الذي كان صدقي يتزعمه أنذاك. وهذا كله دلالة واضحة على نهب حقوق الرعية من المدنيين والقرويين أبرزها الشرقاوي في الروا ية.

قد ذكر د. حمدي السكوت بهذاالصدد :

ذكر فيها الكاتب حكايات الصراع بين الطبقات المالكة للأرض والمزارعين الموحولين في الطين وتاريخ النضال من أجل لقمة العيش التي يكافحون طوال عمرهم في شق وحفر وحرث ووضع البذور الأولى في انتظار نموها وفي نمائها بعد ريها ليس فقط بمياه الترع والقنوات بل بالعرق والدموع والدماء أحيانا حتى إذا ما أظهرت واينعت وحان قطافها وحصادها وجدت السيد الإقطاعي في البندر والمدينة والعاصمة يلتهم المحصول في كرشه الغليظ المتدلي. في هذه الرواية الواقعية تفتحت عيوننا على الأدب السياسي في مصرفي عهد صدقي الباشا حيث الصراع بين السلطة المتمثلة في المأمور والعمدة وما يمثلانه من بطش وجبروت وبين أهل البلد البسطاء ليس في سذاجة ولكن في ذكاء ما ليس لهم حول ولاقوة ولذا مزج الشرقاوي قضية "أولوية الري" باولوية جلاء الغاصب

عن أرض الوطن ومزج تشبث الفلاح بأرضه أمام غاصب معتد بتشبث الإنسان بكل ما هو إنساني على كل هي معركة جبارة ضد نظام الإقطاع الطاحن.[102]

تقع أحداث الرواية التي يروي جزء منها طالب مدرسة في صورة ذكريات لإجازته في قريته كما يروي جزء آخر منها المؤلف بضمير الغائب، في فترة الحكم الاستبدادي لصدقي باشا،في أوائل الثلاثينيات. وهذه القرية التي تتحرك أحداث الرواية فيها قرية غارقة في العوز والاضطهاد ويسوطها جشع الإقطاع من جهة وقرارات الحكومة الجائرة من جهة ثانية. "فالقطن يباع بالتراب والفلاحون يسقطون في أيدي المربين والذين يملكون أرضا تحجز عليها الحكومة". معظم سكانها تقذف بهم الحاجة إلى "المدينة باحثين عن عمل ليعودوا من بعد صفرا مهزولين". وآخرون "يشتغلون أنفارالحساب مالك الأرض الذي يملك أحيانا أراضي عدة قرى. ومن قرارات الحكومة الجائرة قرارين أديا إلى نقم سكان القرية، يتعلق أولهما بتقصيرمدة ريهم لصالح رجل ثري يسكن قريبا منهم ويملك أراضي واسعة، وثانيهما ببناء شارع يؤدي إلى دارالرجل الكبيروذلك عن طريق قطع أراضيهم.

تصورالرواية المحاولات البطولية المبتورة التي قام بها الفلاحون لأجل منع تنفيذ القرارالحكومي، يعرض خلالها المؤلف صورة شاملة بانورمائية للحياة في القرية وأنماطا بشرية متنوعة من: الفلاح المحروم من الأراضي وصاحب الأراضي القليلة والعمدة ومديررجال الشرطة والإمام ومعلم المدرسة والبقال وخريج الأزهر والمومس وملكة جمال القرية.

أما قرارالحكومة عن دورة الري التي أصبحت خمسة أيام بدلامن عشرة، قد كتب محمد أفندي معلم القرية عريضة الى وزيرالأشغال عن طريق العمدة ومحمود بك نائب القرية.

---

[102]. قاموس الأدب العربي الحديث، د. حمدي السكوت، ص: 275-276

ولكن العريضة التي سافر بها محمد أفندي لم تكن هي عريضة ماء الري.....بل هي كانت عريضة للزراعية. لأن محمودبك قد كتب عريضة أخرى وأرسلها الى العمدة بعدما يجمع أختام القرية وأختام القرى المجاورة التي لا تعلم عن هذه الأختام شيئا. ويوضع كل هذه الأختام على عريضة جاء فيها:

" أن الأهالي الموقعين يحتاجون إلى شق سكة زراعية .....تمر في أرض الذين وقعوا على العريضة، وتمزقها، وتصل بين عاصمة الإقليم وطريق القاهرة مارة بحدود أرض الباشا، حيث يكمل بناء قصرَه الكبير".

وفي الأخير، وافقت الحكومة على هذه العريضة التي تتطلب بناء شارع يؤدي إلى دارباشا بقطع أراضي أهل القرى، ولكن مسئلة دورة الري بقيت على حالها لم يسلط الضوء المؤلف عليها. فقد سرق أهل القرى الماء بطريق سري في الليل،فالعمدة قد كتب أسماءهم وأرسلها الى الحكومة . وبناءا على كتابة العمدة قد سجنت الحكومة أشخاصا من أهل القرى.

أما الشخصية البارزة التي تدورحولها الرواية هي "وصيفة" بطلة الرواية. وهي فتاة جميلة خلابة، جاء المؤلف بذكرها مثل هذا:

" كان شعرها الأسود الكثيف المسترسل على كتفيها من تحت المنديل الأحمر، وكان فمها الواسع الغليظ الشفتين، وأنفها الصغيرالمكور، وذقنها العريضة المرتفعة في كبرياء.... وكان صدرها المفعم البارز....كان كل هذا ....ونحرهاالمتألق.....يجعل لها بين الفتيات سحرا خاصا".[103]

---

[103]. الأرض، عبدالرحمن الشرقاوي، ص: 18

قد طلب محمد أفندي المدرس الإلزامي من أب وصيفة يدها للزواج، لكن محمد أبو سويلم قد أنكر قائلا: هو لا يريد أن يزوجها من أهل البلد، رغم محمد أفندي يقبض أربعة جنيهات كاملة كل شهر. وهذا أصبح شائعا أن عبدالهادي قرأ الفاتحة سرا مع زوج اختها الذي يعمل بمدرسة الزراعة المتوسطة في عاصمة الإقليم، وهما صديقان قديمان . ويقال أيضا أن عبده ابن خال وصيفة طلبها من أمها، ولكنه عاد من مصرمتعطلا فرفض محمد أبوسويلم. وهكذا لاتزال تجري هذه الأحاديث كلها عن وصيفة.

بالإضافة إلى "وصيفة" يرسم الشرقاوي رواقا من الشخصيات المتنوعة المتضادة التي تتراوح ما بين عبد الهادي وخضرة ومحمد أبوسويلم والشيخ يوسف والشيخ الشناوي ومحمد أفندي والشيخ حسونة وشعبان والشاويش عبدالله وغيرهم.

الرواية نوع من الملحمة، تروي علاقات الفلاحين المتبادلة ومؤامراتهم ومنافساتهم ونزاعاتهم كما تروي تعاونهم وتضامنهم لدى الحاجة وهمومهم اليومية، حبهم وأفراحهم وأتراحهم، نزاعاتهم على ماء الرى وكفاحهم الجاري ضد السلطات الظالمة القاهرة. كل ذلك يتم عرضها بتفاصيل دقيقة حية من خلال حوار ممتع نابض بالحياة، قد جرى فيه استخدام العامية بصورة فعالة مؤثرة التي تبلغ بعض الأحيان إلى حد الشاعرية في روحها وأدائها.[104]

---

[104] A Shor History of Modern Arabic Literature, M.M. Badwi, P: 151.

الاتجاه الواقعي في الرواية

" ولم يجرؤ محمد أفندي على التفكير فيما يقول خاله، ولم يستطع أن يسأله لماذا يحرقون القمح والقطن في الدنيا الجديدة، بينما لا يجد الناس في مصر قروشا يشترون بها الملابس، والفلاحون تتمزق أمعاؤهم من خبز الذرة الجاف.....

لم يستطع محمد أفندي أن يوجه كلاما إلى خاله خوفا من هجوم خاله الذي لايرحم، ولكن محمد أبو سويلم تساءل لماذا يحرقون القطن.... لماذا ينسجونه، ويبيعونه قماشا بقروش قليلة.... ولماذا لا يبيعون القمح للبلاد التي تأكل الذرة ..... أو التي لا تجد ما تأكله؟.

وهز الشيخ حسونة رأسه، وفكر قليلا قبل أن يقول:

لوعملوا كده ما يكسبوش زى ماهم عاوزين.... فيه واحد كتب مقالة في جريدة صغيرة وكان بيقول في المقالة إن العالم ما طمعشي في بعضه..... وكل واحد اشتغل والدول تبادلت مع بعضها، ده يدى قمح وياخذ قطن، وده يبيع قماش ويشترى دره، ما كانش حد جاع، ولا يبقى فيه أزمة ولا إنجليز، قامت الحكومة قافلة الجريدة وحابساه بتهمة العيب في الذات الملكية، ومحاولة اغتيال صدقي وقلب نظام الحكم كمان، شفت بقى؟[105]

قد أثار الكاتب خلال هذا المقتبس المذكور حقيقة باهرة وهي حقيقة الأزمة التي تسود في الدول المستعمرة والبلاد النامية عامة . وهذه الأزمة ليست سوى الخدعة التي تجيد استخدامها الدول الراقية ضد هذه البلاد البائسة الفقيرة لتفرض عليها العب الثقيل المزيف. نرى نماذج عديدة لهذه القضية الهامة في الرواية قد أشار المؤلف اليها في موضع غيرواحد في إطارأدبي وثيق وصورة رشيقة جاذبة. ومن تلك النماذج قوله هذا:

---

[105]. الأرض، ص: 258

" أنا أعلم من إخوتي الكبار أن الدنيا كلها أزمة، وأنهم في أمريكا يرمون الذرة والبن في البحر وفي الصين يموتون من الجوع. وكنت أسمع من أبي أن الأزمة هزمت الناس.... فالقطن يباع بالتراب ..... والفلاحون يسقطون في أيدى المرابين، والذين يملكون أرضا تحجزعليها الحكومة من أجل ضريبة اسمها المال، والذين يبيعون القمح في الأجران المحجوز عليها يسجنون ولو أنهم باعوا القمح الذي يملكونه".[106]

نجد في صفحات الرواية العديدة ذكرمظالم المستعمرين على الشعوب المستعمرة, وبرغم كون صدقي باشا صاحب السلطة ، فالكاتب لا يقبل سلطانه ونفوذه وسلطته ، لأنه هوكان يتعاون مع القوة الغاشمة الجائرة. المصدر الحقيقي للسلطة عند الكاتب هو الشعب المصري المتصرف بنفسه في سائر أمورهم.

" ستظل الأمة مصدرالسلطات على الرغم من كل شئ..... وسيظل الشعب مصرا على أن يكون صاحب الكلمة، ولربما أفلحت البنادق في أن ترهب، ولكن الرصاص لن يخرس صرخات العدل والحرية.....

ولقد تفلح القوة الغاشمة في أن تنتزع الأرض من الفلاحين، وفي أن تزحم السجون بالأحرار، وفي أن تصنع الأزمة فلا يفكرأحد إلا في اللقمة..... ولكن الناس يدركون أن الحرية هي التي توفر الطعام، وأن الدستور هوالذي يضمن الحقوق، وأن اختيارهم الحرلمن يحكمون، هوالذي يضمن شروطا إنسانية للحياة".[107]

أما إذا ننظر الى هذه الرواية برؤية الرواية الواقعية، نجدها أنها تتحدث عن سائرالشخصيات والأماكن والمواضع والظروف بصدق وأمانة.إن الشخصيات كلها في

---

[106]. الأرض، عبدالرحمن الشرقاوي، ص: 33

[107]. نفس المصدر، ص: 347

الرواية تتمثل تلك الفترة والأيام التي كانت القاهرة لا تهدأ فيها أبدا، وكانت اعتصامات العمال وهتافات الطلبة تهزأوتارالحياة،وهذه الهتافات كانت تطلب بحياة الدستور والاستقلال والحرية وبسقوط صدقي والانجليز. الفلاح المصري والقرية قضية محورية تدورحولها هذه الرواية. رصد الشرقاوي فيها أدق التفاصيل في حياة الفلاح المصري ومأساته الأزلية للحصول على قوت يومه مع ربط هذا الواقع المؤلم بالظروف السياسية، التي كان يعتبرها أحد أسباب قهرالمواطن المصري. فالرؤية الثورية التي قدم بها الروائي نماذج الفلاحين الكادحين تصاغ من خصوصية واقعهم المصري، غير أنه يتجاوز إلى بعد الإنساني، وعلاقة الفلاح في كل مكان مع الأرض. إن عبد الهادي وأبوسويلم ووصيفة، وفقيه القرية المنافق والبقال الأزهري كلها نماذج تعكس أوضاع المجتمع المصري الطبقي في سنوات الثلاثينات والأربعينيات.

دورشخصيات الرواية في تمثيل النموذج الواقعي

والشخصيات في الرواية تتوزع بين ثلاثة نماذج: أول يقاوم الحكومة وثان يعمل لصالحها وثالث يبدو بمعزل عن الأحداث. ففي اجتماع القرية الأول لمواجهة قرارالحكومة يطلب الشيخ الشناوي إمام القرية ومفتيها إلى الناس قراءة "عدية يس" لينتقم الله للفلاحين ممن قصر مواعيد الري ويقترح الشيخ يوسف بقال القرية الاستغاثة بالعمدة. ولكن كيف يثق أهل القرية بهذاالعمدة إذا كان قدعرف قرارالحكومة قبل أن يصل الأخير إلى القرية ولم يقل لأحد وإذا كان هوالذي ساعد الحكومة في الانتخابات بعدأن قاطعتها الدنيا كلها". وعلى الرغم من أن رأي محمد أفندي معلم القرية لم ينل موافقة أحد في البداية فإن الفلاحين يفوضونه أخيرا كما اقترح بكتابة عريضة إلى وزير الأشغال عن طريق العمدة ومحمود بك نائب القرية وكانت المفارقة التي قصمت ظهور هؤلاء في استبدال عريضة الزراعية بعريضة الري فالعمدة "ضحك على القرية باتفاق مع محمود بك وجمع أختامها وأختام القرى المجاورة ووضع كل هذه الأختام على عريضة جاء فيها أن الأهالي الموقعين يحتاجون إلى شق سكة زراعية".

وعامة فإن هذه الشخصيات تبدو على امتداد الرواية نامية متحركة متمايزة فيما بينها. والصراع الذي يصوغ الروائي عبره ومن خلاله الأحداث المكونة لعالمه التخييلي ليس واحدا بمعنى أنه لا ينهض بين فلاحي القرية من جهة والحكومة وذيولها من جهة ثانية فحسب بل بين الفلاحين أنفسهم أيضا. وتعد شخصيتا عبدالهادي ومحمد أبو سويلم أكثر شخصيات الرواية تمثيلا للعلاقة الحميمة التي تربط بين الفلاح والأرض. فالأول يشارك في مواجهة الحكومة على الرغم من أنه لا يملك أرضا من حوض الترعة التي سيطولها مشروع السكة الزراعية لثقته بأنهم "حين يعتدون على رجل واحد في القرية فكأنما ضربوا القرية جميعا.... وإذا سكت هواليوم وأرض محمد أبو سويلم ودياب تنتزع فسيرمونه هوغذا. أما الثاني فيواجه فرقة الهجانة التي أرسلتها الحكومة لتأديب القرية بالتشبث بأرضه وبرفضه مغادرتها على الرغم من أنه يلقي من رجال الهجانة مالا يحتمله رجل في مثل سنه.

فالروائي يسترسل في وصف الطبيعة من غير أن يكون لذلك الوصف ما يسوغه فنيا وعلى الرغم من تلك الواقعية الآسرة والنابضة بالبساطة والحياة التي وفرها لمحكيه ومن حرصه على أن يبدو الفلاح عامة لديه رجلا حقيقيا بضعفه وقوته بحبه الرومانسي وآلامه المريرة فإنه لم يستطع تحرير ذلك المحكي من أذى التفاصيل والجزئيات ومن الوصف الفائض للملامح الخارجية للشخصيات كما لم يستطع إقناع قارئه بواقعية عدد من تلك الشخصيات عبد الهادي خاصة الذي غالبا ماكان يمنحه صفات خارقة تضعه خارج حدود الواقع وليس على حوافه فحسب.

أعلن الدكتور عبدالرحمن الشرقاوي المصري عن هويته كفلاح مصري عظيم في أول عمل روائي له وهو الأرض انه غرس في أذهان الأجيال القادمة الشوق للعدل والنضال من أجل إقراره منذ طفولتهم وعلمهم الجهاد من أجل تحرير العقول والإرادات من أي سطوة أو وصاية والآن قدعرفنا منه كيف نتحرى الصدق في أي قول أو فعل فقد كان يمقت الكذب والنفاق ويعتبرهما أقصر الطرق لكل الرذائل فحثنا على مقاومة الظلم

والتضحية في سبيل المبدأ فهذا هوشرف الحياة وأنه قد عين حياته الغالية لتعليم النزعة الإنسانية ونشرها وترسيخها في أذهان الناس أن الإنسان بفضيلته لا بفصيلته وفخرالإنسان بفضله خير منه بأصله وأرسل الى الحكومة رسالة بليغة بهذه الرواية أن السلطان العادل خير من مطر وابل وسلطان بلاعدل كنهر بلا ماء هكذا أنه كان محبا للإنسانية ومتعلقا بأمورها ومتشبثا بإسترداد حقوق البشرية إلى أصحابها.

"كانت القرية كلها تعرف ما حدث للرجال: وكيف أكرهوا على شرب بول الخيل وكيف حلقت شواربهم وكيف هوت السياط على الوجوه والأبدان وكيف كانوا يؤمرون بالجلوس على خوازيق...وكيف كان واحد منهم يضرب ويضرب إلى أن يفقد الوعي ولايبرح بعد هذا يضرب إلى أن يصيح أنه امرأة".[108]

حاول الشرقاوي أن يوضح أعمال عمال الحكومة الوحشية والظلم والجبرلأنهم جبروا على رجال القرية أن يشربوا بول الخيل وحلقوا شواربهم وضربوهم بالسياط على وجوهم وأبدانهم وأمروا أن يجلسوا على خوازيق وضربوهم حتى يفقد واحد منهم الوعي وأجبر عليه أن يقول أنه إمرأة هذه الأعمال كلها غيرمرضية في حياة الإنسانية، هذه الأعمال هي علامة بارزة لانتهاك حرمة الإنسانية ونقض مكانها المرموق في النظرة الشرعية وتدنيس مركز عامة الناس في المجتمع البشري ومع ذلك أنهم أسقطوا منزلة المرأة عن مكانها الممنوح في الشريعة الإسلامية وضحكوا منها وسخروا بها.

"كانت الحكومة تعرف أن الناس سيسألون وزراءها اثناء الزيارة عن الكساد والجوع والأولاد الذين يردون من المدارس والمرضى الذين لا يجدون أماكن في المستشفيات

---

[108] . عبدالرحمن الشرقاوي، الفلاح الثائر، كمال محمد على، ص: 10

وعن حق كل إنسان في أن يعمل وعن حق الكلمة في أن ترتفع وعن كل ما يوفره الدستور ويمنعه الانجليز والمسدس وحزب الشعب".[109]

عالج في هذه العبارة الشرقاوي قضية حرمان الناس الساذجين من الحقوق الأساسية للقرويين المصريين البسطاء الذين يكدحون في كسب المعيشة من تربة مصر الخصبة مع أن الحكومة قد حرمتهم منها تعسفا وظلما وما أدت واجباتها وفرائضها ومسؤولياتها تجاه المواطن من شق طرقات وإنشاء مدارس وبناء مستشفيات وتوليد كهرباء وإيصال مياه وحفظ أمان وخلق نظام صالح وتوفير وظائف للمواطن وإعطاء حرية الكلمة وكل من هذه الحقوق الإنسانية التي قد حرم حكماء مصر منها الناس بل تحكموا حسب أهوائهم في أمورالناس وأجبروهم بالقوة على أن لا يسئلوا الناس الوزراء عن مسؤلياتهم.

"وعاد يكمل بهدوء فقال للفلاحين أن عليهم أن يهتفوا معا... وأن يقولوا: يعيش جلالة الملك.... يحيا حزب الشعب .. يحيا صدقي.

واستمر المأمور يقول إنهم بعد هذه الهتافات الثلاثة يجب عليهم أن يكرروا هتافهم"يحيا صدقي" .... وعليهم أن يقولوا هذاالهتاف بنغم...[110]

قد خطى الشرقاوي خطوة رصينة لتحرير الإنسان من قيود التقليد الأعمى لا أساس له من البنيان المرصوص وأكد حقه وشخصيته ومكانه العدالة الاجتماعية بكتابة الأرض وركز على كرامته واحترامه كما جاء به الاسلام ويظهر من هذه العبارة أن حاكم مصر آن ذاك تسيطر على الرعية بامر يده الجائر ويبذل جهده ضد الانسانية وينطقهم في حقه حسب هواه الضالة بالهتافات الجوفاء وغيرها جبرا.

---

[109]. عبدالرحمن الشرقاوي، الفلاح الثائر، كمال محمد على، ص: 281

[110]. عبدالرحمن الشرقاوي، ثائرا ورائدا، جلال العشري، ص: 10-21

"ومضت الأيام بالقرية دون أن يعرف احد فيها من هو العمدة الجديد. وفي الحق أن أمر تعيين عمدة جديدة لم يكن يشغل الفلاحين في الحقول فقد كانوا يقولون لبعضهم أنه لا يهم أن ينكشح عمدة ويجيئ آخر فالعمدة الجديد لن يرفع سعر القطن ولن يعدل مواعيد الري ولن يغير مشروع الزراعية... ما دامت الحكومة في مصر باقية كما هي.. في يد حزب الشعب".[111]

قد أبرز الشرقاوي وجود اضطراب أذهان الفلاحين المصريين تجاه حكومة حزب الشعب في مصر لأن هذه الحكومة قد خلقت الاضطراب والقلق الذهني للفلاحين ولم تتوفرالتسهيلات لهم وبناءا على هذا قد أدى الوعي الطبقى التلقائي للفلاحين – المتزايد بقدر ما يعانونه من عسف واضطهاد– والذي ازداد إدراكا وإصرارا بدخول الفكر الاشتراكي والحرية اليسارية المصرية إلى كهوف فقراء الفلاحين والاجراء بعد الحرب العالمية الثانية إلى قيام حركة نضالية فلاحية متسعة تستهدف استرداد حقوقهم الطبيعية في الأرض والكرامة والحياة الإنسانية. ولقد تعاظمت هذه الحركة في الفترة من عام 1948م حتى قيام ثورة 23 يوليو 1952م، وتجسدت في معارك الفلاحين ضد الظلم والسخرة.

"وعلمت أن الشاويش عبدالله أصبح الآن يترك الشيخ الشنواى يذهب إلى الجامع لصلاة العشاء ويسمح الشيخ يوسف بفتح دكانه حتى صلاة العشاء وأنه يجلس عادة على مصطبة محمد أبو سويلم ويأمر رجاله الثلاثة أن يطوفوا بالقرية ليدخلوا الناس الدور بهدوء ثم يعودوا إليه على مصطبة محمد أبو سويلم".[112]

---

[111]. عبدالرحمن الشرقاوي، الفلاح الثائر، كمال محمد على، ص: 78

[112]. عبدالرحمن الشرقاوي، الفلاح الثائر، كمال محمد على، ص: 251-256-258

أراد الشرقاوي أن يبوح بحرية الإنسان لعمله وأداء فريضة دينية يعتنقها الفرد في المجتمع الإنساني لأن كل مولود يولد على الفطرة وإذا كبر أدى حسب ما رباه مربيه وهذا من حقوقه الأساسية أن يقوم بعمله وأداء فريضة دينية دون أي مضايقة للآخرين ومن يمنع أحدا من عمله الديني أو الدنيوي مع أنه يعرف أن القائم بالعمل لا يضر أحدا هذا يعد من العسف والشدة والجور وهذا لا يتحمل عضو المجتمع الصالح فأما إذا صلح موظفوا الحكومة ويسهلوا لأناسي المجمتع طرق تعبيرهم وفرص عملهم وتخفوا لهم أيديهم صلح عامة الناس ويطيعونها إطاعة غنية.

"ولم يعلق الشيخ يوسف وأحس برغبة في ألا يتحدث مرة أخرى في موضوع القطن... فهو في الحق لم يرالقطن يحمل إلى الصول وهو يعرف أنه كان يكذب منذ لحظة وأن الشيخ الشناوي يكذب الآن ليجامله..".[113]

قد أشارالدكتور عبدالرحمن الشرقاوي إلى أن عمال الحكومة وموظفوها يخونون الناس عامة مع أنهم يجب عليهم أن يخدموا عامة الناس لأنهم قد وجدوا فرصة سانحة لاستجلاب ودهم وحمايتهم بأنهم منهم لأن أكبر الناس خادمهم ولكن المشكلة هي أن الموظفين والخدام لا يعرفون مسئوليتهم التي قد ألقيت على كواهلهم ظنا أنها قوية وأمينة لأداء هذاالواجب.

---

[113]. جمع من المولفين، المفيد في الأدب العربي، الجزء الثاني، ص: 363

الفصل الثالث

دراسة نقدية لرواية "الحرام"

كتب هذه الرواية الأديب المصري الشهيروالكاتب المرموق يوسف إدريس عام 1959م.والرواية تعالج نظام الإقطاع والتفتيش الذي كان يسود في ذلك المجتمع بصورة عامة بحيث يطحن الفلاحين بؤطأته وهم أصبحوا يفقدون كرامتهم وانسانيتهم. قد تناول يوسف ادريس هذه القضية في روايته هذه من خلال وجهة نظره الخاصة.

الرواية تدور حول مأساة احدى عاملات الترحيلية،وهي عزيزة التي تعمل في حقل أحد ملاك الأرض لتحصل على زربطاطا، يشتهيه زوجها المريض. تبدأالرواية حين يعثر خفير التفتيش عبدالمطلب على لقيط ميت بجوار الترعة فظن أنه وجد شيأ مهما ولكن ارتعب وذعر لما رأى، فإذا هو جنين لا يتعدى عمره بضعة أيام وقد ازرقت شفتاه. فانتشر هذاالخبر كالنار في الهشيم بين طائفة العاملين بالتفتيش، فحضر جمهوركبيرليرى هذاالابن الحرام. وفي نهاية الأمر جاء فكري أفندي مأمورالزراعة، وبعد رؤية هذا "اللقيط" أصبح متأكدا الفاعلة من نساء الترحيلة ومع هذالم يكن ليصدق أن من الممكن أن توجد بين هذه المجموعة امرأة أو بنت تحمل وتلد حلالا كان أو لقيطا.

وهذه الترحيلة وكما الفلاحون يسمونهم أيضا "الغرابوة" ياتون كل سنة في موسم القطن من قرى مليئة بالناس ليعملوا في تنقيطة القطن من الدودة. وقد كان الفلاحون وأهل العزبة يكرهون الغرابوة وكل ما يميزهم من رائحة طعامهم وشكلهم . وبعد ما يأس المأمور من العثورعلى ام اللقيط، أبلغ مركزالشرطة ليزيل المسوؤلية عنه. فتحضرالشرطة والنيابة ومفتش الصحة وبعد تناول الوليمة.التي أعدها فكري أفندي حققت الشرطة وانتهى التحقيق وقيدت الجريمة ضد مجهول.

ولكن من خلال المناقشة تساور الشكوك في نساء أهل التفتيش وتتلاعبت بهم حتى جعل مسيحة أفندي الباشكاتب يشك في ابنته، لأنه وجدها في فراشها تشكومن مغص . بالاضافة الى انه كان يعرف الاشاعات التي تدور حول علاقة ابنته مع ابن المامورصفوت والرسائل التي يتبادلانها عن طريق البوسطجي محبوب،وبناءا على هذا كله،تسلل الشك الى قلبه وقد أخذ يشك أيضا ان زوجته عفيفة تسترعليها.

ثم تنجلى الحقيقة ويزول كابوس الشك فتبين الواقع بأن الخاطئة هي من بين الترحيلة، وهي عزيزة. كان زوجها مريضا بالبلهارسيا وأصبح عاطلا عن العمل، فإنها أصبحت مسوؤلة عن قوتها وقوت زوجها وقوت طفليها. ذات مرة اشتهى زوجها المريض أن ياكل بطاطا، فذهبت إلى أحد حقل ملاك الأراضي وبدأت حفر الأرض جاهدة حتى يأتي ابن صاحب الأرض ويمنعها من متابعة الحفر.ثم هو يبدأ بالحفربنفسه فيخرج لها جذر بطاطا ومن ثم حبة كاملة. ومن لهفتها لم تتنبه الى الحفرة فوقعت فيها، فساعدها ابن صاحب الأرض وهو يريد اغتصابها ولكنها قاومته في المرة الأولى لكنها فشلت في النهاية فاستسلمت لضعفها وعدم التمكن من الهرب أو بسب آخرمع هذاالسبب،هو لرغبتها في الجنس لأن زوجها كان مريضا، لم يمارس الجنس معها منذ أيام وحملت منه وجنت، ولكنها وضعت جنينها في حقل بلا ضوضاء في سكون الليل ودون أن يشعر بها أحد ثم خنقته حتى دون أن يكون هناك وداع الخنقة. وبعد انكشاف هذه الحقيقة اطمئن أهل التفتيش كما اطمأن مسيحة أفندي على بنته "لندا" التي شك في سلوكها، فكأفاها بالسماح لها بزيارة زوجة المؤذن، وابنته كانت تذهب للقاء فتى التفتيش لإرواء غلائلها الجنسية حتى في نهاية المطاف هربت معه.

أما عزيزة، فإن عواطف أهل التفتيش قد استحالت إزاءها من استنكار إلى تعاطف، إنها ماتت صريعة حمى النفاس واعترفت في هذيانها بجريمتها كما أخبرت بأنها وضعت يدها على فم الرضيع مخافة الفضاحة دون أن يدور بخاطرها أنه يمكن أن يؤدي إلى موته.

هذه هي خلا صة الرواية يتجلى فيها حقيقة المجتمع، المجتمع التي صورفيها الكاتب حياة عمال التراحيل، وهي فئة مهمشة من طبقة الكادحين في المجتمع القروي المصري. كما تناول الظلم الاجتماعي والظروف القاسية والأوضاع المكفهرة التي تدفع امرأة مثل عزيزة بارتكاب مثل هذه الجريمة. في الحقيقة هذه الرواية هي مرآة صادقة وتجسيد حقيقي ما يواجه الغرابوة من معاملة فظة سيئة من قبل أهل التفتيش إذ هم ينظرون الى الغرابوة نظرة احتقار ويعاملهم كأنهم مجرد نفايات.

الواقعية في الروا ية

وبدون أدنى شك، هذه الرواية من أروع الروايات العربية التي تحظى بحفاوة الأدباء والكتاب والنقاد من أول يوم الى يومنا هذا. وهذه الحفاوة والقبول ليس فقط لأنها تعالج القضايا والمشاكل من منظورنقدي، بل بأنها تثير الأسئلة المهمة ذات موضع اهتمام الأدباء والكتاب لا يمكن صرف النظرعنها. أتت الرواية في حيزالوجود عام 1959م تحمل بين طياتها حقائق اجتماعية وقضايا واقعية كشفتها يد فنان مصري، وكاتب مرموق.

الرواية تتحدث عن موضوع الصراع الطبقي، طبقة "أهل التفتيش" وطبقة " العمال الترحيلية" وتعبر عن واقع فئة عمال التراحيل المزري. وهي في الحقيقة تجسيد واقعي حياة تلك الفئة المهمشة اجتماعيا.ويستمرهذا الصراع بين الحلال والحرام، وبين الغني والفقير، كما يدورأيضا بين الغرابوة وأهل العزبة. وهذاالصراع لم يكن وليدا في يوم أو يومين بل نشأ وتعمق جذوره منذ غابرالزمن ، حيث لا حقوق أو ضمانات تؤدي للفلاح الأجير بينما هو في حقيقته عماد هذاالمجتمع. فيواجه هذه الطبقة الكادحة امتهان الطبقة المسيطرة واستغلالها.

الرواية وصف واقعي دقيق لشريحة من المجتمع المصري، يصف الكاتب فيها حياة الترحيلة ومدى قسوتها. كما هو يسلط الضوء على العلاقات التي كانت بينهم وبين أهل التفتيش.

يصف الكاتب عن "الغرابوة" أو "الترحيلة" بقوله :

" والغرابوة ليسوا من قاطني التفتيش، ولا يمكن لأحد أن يتصورأنهم من قاطني التفتيش، إذ أليسوا هم أكثر الناس فقرا في بلادهم الذين يدفعهم الفقر إلى اللجوء إلى العمل في التفاتيش البعيدة، وترك دورهم وقراهم سعيا وراء يومية لا تتعدى القروش القليلة؟ أليسوا هم ذوي الأسمال البالية والرائحة الغريبة، والخلقة الكريهة؟ لا يمكن لأحد أن يتصور أناسا كهؤلاء من قاطنى الفتيش، فقاطنوالتفتيش كلهم مزارعون محترمون، لكل منهم بيته وأولاده وبهائمه وجلبابه النظيف الجديد الذي يرتديه بعد انتهاء العمل ليسهربه في القهوة ويروح به في المآتم والأفراح، وليس بين قاطني التفتيش عاطل، فالعزب مبنية بحيث تستوعب المزارعين كلهم، وكأنما هي مصنع كبير خصص جزء منه لسكن عماله..... وعلى هذا فهم جميعا يعملون، وهم جميعا معهم نقود، والزوجة تدخل على زوجها بسرير ودولاب وأطباق صيني وأحيانا بماكينة خياطة. والعمل ليس مرهقا إلى الدرجة التي لا يتصورها العقل، فالري بماكينات والحرث بأتومبيلات، والدارس بماكينة كبيرة جدا تحتل وحدها نصف الجرن. وصحيح أن التفتيش يأخذ معظم ما تنتجه الأرض، ولكن يبقى للفلاح ما يستره، ويكسوه، ويطعمه، ويجعله حتما ينظرإلى الغرابوة هؤلاء نظره إلى نفاية بشرية جائعة، مضطرة إلى الهجرة كي تعمل وتأكل وتنال حظا من الحياة. حتى اسمهم لم يتفق عليه أحد، رجال الإرادة يسمونهم "الترحيلة"، والفلاحون يسمونهم "الغرابوة". أما هؤلاء الذين تعودوا "المقتلة" التريقة فيسمونهم "الجلب حل الجشج عنه ما جلو يا سيد عنجلو" ومعناها "الكلب كل الكشك عنه ما كلو يا سيد (السيد البدوي) عنقلو"، إذ هكذا

ينطقون الكاف، وهكذا يحتقرفلاحو التفتيش كافهم ولهجتهم وحتى مجرد وجودهم على أرض تفتيشهم.[114]

ومن الملاحظ أن الكاتب قد سرد حياة الترحيلة بالتفصيل لأنه يرى الي الترحيلة كالطبقة المستغلة الكادحة العاملة ، مهضومة الحقوق وغيرمنصفة في المجتمع. ولا وزن لهم عند أهل التفتيش.

" أما الغرابوة أنفسهم فقد كانوا لا يقيمون وزنا كبيرا لتريقة الفلاحين أو نظرتهم، وكأنما هم معترفون أنهم غرابوة وأنهم ترحيلة وأنهم أي شئ قد يخطرعلى بال إنسان. فما دام الواحد منهم قد حظي بمكان في الترحيلة وضمن أن يعمل أكثرمن ثلاثة شهوركل يوم وبأجر، فليقل عنه القائلون ما شاءوا".[115]

وجانب آخر نرى تتمثل الرواية المأساة ، مأساة في مرض عزيزة وموتها، وهذه المأساة قد بلغت الى المستوى الذي أدى الى إذابة الفوارق الاجتماعية والطبقية في المجتمع، بحيث الغرابوة الذين كانوا يقضون سنوات عديدة في عمل تنقية القطن من الدودة في موسم القطن، لا يتغير شعور أهل التفتيش نحوهم، ولكن هذه المأساة قد تغير الأوضاع كلها،وبدأ هذا التغير حين قرر الأطفال اللعب مع أطفال الترحيلة، ومن ثم انتقل هذاالسلوك الى الكبارأيضا.

وهذه المأساة قد أنابت الفوارق بين الفريقين بحيث نساءهما معا أصبحن محل شك وريبة. فنجد هنا النوازع البشرية في الشك التي توجد في الرواية بوضوح مثلا وهي تتمثل في مسيحة أفندي وشكه في زوجته وابنته ويظن أن ابنته لنده هي أم اللقيط.

---

[114]. الحرام، يوسف إدريس، ص: 326

[115]. الحرام، يوسف إدريس، ص: 326

" لأمرما أحس مسيحة أفندي فجأة وبشكل قاطع أن بنته لنده هذه لا بد أن تكون هي التي ارتكبت جريمة الصباح. إحساس دفعه لأن يتوقف عن استرساله في الكلام، ويحدق فيها وكأنما يراها وكأنها ليست ابنته، وكأنها أنثى داعرة، لأول مرة في حياته، وبين شكه في هذا ويقينه من أنها ابنته، راح مسيحة أفندي يمسحها بعينيه الضيقتين ويتحسس يدها وبطنها مدعيا أنه يسألها عما بها، وبطنها بالذات، لم تكن له ليونة بطون الوالدات ولكنه كان يوجعها. الشك لم يكن مسيحة أفندي قد أحسه أبدا إلا تجاه الآخرين تجاه الفلاحين والمآمير والإدارة وكل الناس. لم يكن ابدا قد أحسه تجاه نفسه أو من هم في حكم نفسه.... تجاه عائلته ..... تجاه ابنته لنده بالذات. حياتها علنية أمامه وأمام أمها وأمام الناس، وحتى إشاعة رسائل العيون والنظرات والإشارات بينها وبين صفوت تكاد تكون علنية هي الاخرى، وحياتها العلنية هذه هي كل حياتها، فهل من الممكن أن تكون لها حياة أخرى، حياة تزاولها مع صفوت ابن المأمور في الظلام؟ ".[116]

البحث عن الاشباع الجنسي يسود في الرواية بحيث ام ابراهيم، زوجة الامام أب ابراهيم كانت تجمعها علاقة جنسية مع أحمد سلطان. قد صور الكاتب تصوير هذه العلاقة غير الشرعية ببراعة :

"لم يمض وقت طويل على أحمد سلطان في ذهابه ومجيئه وراء الجامع حتى بدا له من خلال ظليمات المغرب ذلك الثوب الأسود الفضفاض الذي يعرف صاحبته. كانت أم ابراهيم زوجة فقي الجامع وخطيبه ومؤذنه، امرأة فارعة الطول قمحية ذات قدرة خارقة على وضع الكحل في عينيها وحبك المنديل على جبينها وإمساك طرف ثوبها بيدها، وهفها باليد الأخرى حين تمشي وتتمخطر. وكانت معرفتها بأحمد سلطان وطيدة، إذ كانت من أوائل من عرف من النساء حين جاء أول ما جاء الى التفتيش، ثم تطورت تلك

---

[116]. الحرام، يوسف إدريس، ص: 364

"المعرفة" الى نوع من الصداقة، تطبخ له أحيانا، وتهاديه بطبق قشطة أحيانا أخرى، مع انها كانت قد فقدت الأمل فيه وفي تجدد علا قتهما".[117]

.قدأثار المؤلف خلال هذه الرواية موضوعات عديدة وقضايا مهمة،منها موضوع الفقر والبؤس والحرمان .وهذه القضايا والمشاكل تعتبر رأس الفساد الاجتماعي.لأن "عزيزة" كانت تفقد زاد المعاش مع أنها كانت مسؤولة عن قوتها وقوت زوجها وأطفالها. اذا كانت لا تواجه هذه الأوضاع المكفرة والدروب المظلمة لما كان لها ممكنا أن تقع في مثل هذه الجريمة البشعة . وهذا هو واقع المجتمع قدمه يوسف إدريس خلال روايته هذا، وهو ينظرالى المجتمع المصري كمحلل وناقد ويصور تصويرا دقيقا للواقع العادي بحيث تربط نظرته بقضايا وهموم المجتمع.

قدّم إدريس في قصصه عالماً متكاملاً للحياة المصرية من خلال تحويل الواقع العادي إلي واقع محلل بتشكيل خامة هذا الواقع والربط بين عناصره المبعثرة علي نحو يجعل النظرة إلي الواقع أبعد عن حالة الإدراك الفوري، خاصة فيما تعكسه من ارتباط نظرة الكاتب إلي مجتمعه بهموم وقضايا هذا المجتمع، وعرض ذلك في بساطة تخفي فهماً ووعياً عميقاً لكل من الفرد والمجتمع .عاصر يوسف إدريس وعايش فترة التحوّلات السياسية والوطنية والاجتماعية في مصر منذ الخمسينيات، وشاهد تبلور الطبقه الشعبية وبروزها عنصراً فعّالاً مؤثراً في الحياة الاجتماعية والسياسية وعكست أعماله هذا التبلور ..لقد قدّم يوسف إدريس في قصصه القصيرة مفهوماً واضحاً للواقعية عنده، منذ أول مجموعة نشرها، وتابع تأكيد وتعميق هذا المفهوم خلال مجموعاته التي توالت بعد ذلك.[118]

---

[117]. الحرام، يوسف إدريس، ص : 373

[118]. مفهوم الوقعية في القصة القصيرة عند يوسف ادريس ،السعيد الورقي، ص:14-15

تتبلور في الرواية التناقض الاجتماعي والفوارق الطبقية، فلم يكن فرد الترحيلية يلقي أدنى رعاية طبية، فلو وجد زوج عزيزة علاجا أوليا لما أقعده المرض، فلم تعرضت عزيزة بهذه المأساة. قد أبرز يوسف إدريس هذه الأمراض الاجتماعية وحاول أن يبرأ المجتمع من هذه الأمراض والعيوب.

يكتب يوسف إدريس بوهج الرغبة أن يبرأ المجتمع والناس من العيب، ممثلا في الأمراض الاجتماعية التي تنخر في عظام المجتمع وتفت في عضده وتسير في أوصاله مسري السوس في الخشب الجيد فتئد الأمل في النفوس وتفقدها الرغبة في العمل الجاد "إن الذي تنهض به الأمم وتزدهر، وبه تشكل كيانها وتنقش مكانها في جسد الكون المسألة أكبر من أن تكون مسألة ألفاظ .إنّنا أمام كاتب فنّان يرسم صوراً للمجتمع الذي يعيش فيه ..صوراً تحمل معني الدعوة إلي الإصلاح دون أن تلقي خطبة منبرية :كاتب وهذا الخلق والإبداع هويكتب في ثقة، ثقة كبيرة تسهم في عمليات خلق كبيرة الذي نبع في نفس يوسف إدريس من إيمان عميق راسخ برسالة الأدب ودور الفن في النهوض بالمجتمع، والارتقاء بالإنسان أينما حلّ وأينما كان[119].

فالحديث عن الفساد العارم في الطبقة البورجوازية،والحاكمةوجد حيزا وافرا في الرواية.

هنا نجد أن إبرة الشك فيدير نحو نساء العزبة وبهذا ثبتت فكرة المؤلف بأنها تتصف بالواقعية الاشتراكية ضد الطبقة المستغلة.

قدّم يوسف إدريس في مجموعاته القصصية تجارب عديدة متنوعة، تلمس فيها أعماق البنية التحتية للمجتمع المصري في القرية والمدينة وذلك من خلال رؤية واقعية متمايزة وذات طابع خاص ربّما كان أقرب تعريف لها أنّها واقعية إنسانية تعرّفت علي الصور المتعددة

---

[119]. روايات يوسف إدريس،السيد محمد نوال زين الدين، ص:207-208

للواقعية من نقدية ورمزية وتحليلية وغيرها .قد مرّت هذه الواقعية عند يوسف إدريس بمراحل استتبعتها طبيعة التجربة في كل مرحلة .فقد بدأت الرؤية الواقعية من إنتاج الكاتب مختلطة ببعض المشاعر والأفكار الرومانسية، ومن ثمّ كانت الواقعية الرومانسية السمة التي سيطرت علي قصص المرحلة التي نشر فيها الكاتب مجموعات "أرخص ليالي"،" أليس كذلك"، "جمهورية فرحات" و"البطل".[120]

وبعد ما انكشفت الحقيقة أن "عزيزة" هي الفاعلة التي ارتكتبت هذه الجريمة، قد بدأت الظروف تتغييروحل مكان الكراهية والنفور شعور بالأشفاق والمحبة تجاة الغرابوة وبدأو يعترفون أنهم أيضا بشرمثلهم يفرحون ويتألمون ويعيشون مثل البشر.

كما أشارشوقي بدريوسف الى هذه الحقيقة:

بعد ما عرف فكري أفندي أن عزيزة هى المرأة الفاعلة لهذه الجريمة، ويبدأ النص فى مساره الجديد يأخذ فى البداية نوعا من التغيير فقد بدأ انحسار الكراهية للغرابوة، وبدأت مرحلة جديدة من التآلف بين سكان التفتيش والغرابوة، ويرصد الكاتب هذا التحّول فى موقف يعود الفضل فيه إلى (عزيزة)، فقد بدأ الاحتقار والازدراء يخفان تدريجيا بين أهل التفتيش والغرابوة، وحل محله شعور بالأشفاق والمحبة، ولا يلبث الناس أن يكتشفوا أن هؤلاء الغرابوة هم بشر مثلهم وأنهم يحيون ويتألمون ويتزوجون ويتالمون، وأن لهم همومهم وحياتهم الخاصة، وها هو النموذج الحى لهموم الغرابوة يبدو فى نومة عزيزة وهذيانها، لقد منحتها الظروف حالة خاصة من التعاطف والتناغم انسحبت على الجميع أهل التفتيش وغربائه، وكان مشهد موت عزيزة فى نسيج النص من أروع ما صور يوسف إدريس فى أعماله الروائية على الأطلاق فقد منح هذا المشهد المتلقى حالة من

---

[120] . مفهوم الوقعية في القصة القصيرة عند يوسف ادريس ،السعيد الورقي، ص:18

حالات الترميز والدلالات على عمق الشخصية وفنية التصوير والتعبير عن هذه الحالة ":
وبين دهشة الملتفين حولها وذهولهم جلست عزيزة القرفصاء على حافة الخليج وكأنها تتهيأ للولادة، وانطلقت من فمها صرخات متواليات وكأن الطلق اشتد عليها ثم عسعست بيدها حتى عثرت على عود الصفصاف الذى احترق نصفه والذى كان لا يزال فى مكانه من الحافة، واطبقت عليه بأسنانها واتخذت هيأتها طابعا جنونيا مذعورا وهى تضغط على العود وتنشب أسنانها فيه، وظلت تضغط بتوحش وتضغط وهى تدمدم بأنين محتبس كاسر والدم يسيل من فمها وأسنانها فيلوث العود، وعيناها جمرتان متوهجتان وشعرها منكوش كشعر الجان، ويداها تعتصران طين الخليج فتحيلانه إلى تراب جاف. وفجأة، وكأن شيئا طق داخلها، تهاوت ممددة على حافة الخليج لا حراك فيها" [121]

في الرواية نجد مفهوما جديدا "للخطيئة" حيث "عزيزة" التي ارتكبت الجريمة في ظروف صعبة وواجهت شتائم المجتمع وصبرت على ما رأى المجمتع من نظرة احتقاروكراهية إليها بالرغم من أنها كانت في حاجة الى ممارسة جنسية لأن زوجها كان مريضا. فسيدات التفتيش "المحترمات" يعملن نفس العمل وكن في علاقات جنسية بطريقة خفية بحيث لا يعلم بها أحد ولم تعتبر حراما، حتى زوجة الإمام كانت تخونه . هذه هي رؤية صادقة عرضها المؤلف لإبراز حقيقة المجتمع ، المجمتع الذي يدور حول معيار مزدوج، تشوه فيه سمعة الضعفاء والمظلومين، ويشعر الروساء وصاحب الثروة بالراحة والطمانينة فيه.

وهنا نجد الروائي ينقد نقدا لاذعا على ميزان الحلال والحرام، ويحطم الميزان القديم، والذي يعنى أن الجريمة إذا ارتكبها شخص من الطبقات الكبيرة البورجوازية فهي ليست بجريمة، بل الجريمة هي ما تقترفه الطبقات المطحونة فحسب، وإن كانت الطبقة

---

[121] . رواية يوسف إدريس"الحرام" والرؤيا الروائية بعد خمسين عاما – بقلم شوقى بدر يوسف

المضطهدة مضطرة عليها..... فالحرام في رأيه "هو القانون الأخلاقي البورجوازي السائد في المجتمع" وإلقاء الجنين لقيطا ميتا، أو استسلام المرأة نفسها بعد المقاومة الأولى ليس الحرام. كما يقول الدكتورحمدي السكوت: " أين الحرام إذن في رواية يوسف؟ أم هو الظلم الاجتماعي والظروف القاسية التي تدفع بإمرأة مثل عزيزة إلى الخطيئة؟ أم هو القانون الأخلاقي السائد في المجتمع والذي يسمح لأهل التفتيش رجالا ونساء أن يمارسوا الرذيلة في الخفاء، ثم يمصمصون شفاهم عجبا من زلة امرأة مثل عزيزة؟ أم هو حقا زلة عزيزة؟ طبعا زلة عزيزة ليست هو " الحرام" بل الحرام الذي قلناه.

أما كلمة "الحرام" فأحسن ما قال عنها شوقي بدريوسف واعتبرهذا العنوان بمثابة مفتاح رئيسى له أثره المباشر فى التلقى والتناول من خلال الحدث الذى جاء متأرجحا بين فعل الحرام ذاته وبين رد الفعل كما هو يعتبرأن انسحاب هذا المعنى على ممارسات بعض شخوص الرواية، جاء هو الآخر ليحقق نوعا من التوازن فى المعنى المنسحب من خلال هذه الكلمة، وليجسد من الداخل الوجه الآخر للمجتمع والحياة. وهو قد جاء بكلام مفصل عن بيان مدى دورهذه الكلمة " الحرام" في هذه الرواية. وهو يقول:

فمفردة "الحرام" كمدخل وعتبة أولى للنص تبرز التيمة الأساسية لمحاوره وخطوطه الرئيسية، وهي كلمة نسبية تتشظى ملامحها وتتفتت على المعنى المصاحب لما يدور بشأنها من ممارسات وأحوال ووقائع، كما تتشظى هواجس هذه الكلمة أيضا عند بعض شخوص النص المحورية والثانوية كما جاءت به، بحيث تعكس توجه كل منهم تجاه المفارقة الواقعة داخله وتأرجحها بين هذاالحرام والمعنى المناقض له شكلا ومضمونا، فهذا اللقيط الميت الذي اكتشفه عبد المطلب عقب خروجه من ماء الترعة بعد تطهره من ليلة قضاها مع زوجته وهو ما جاء في عتبة النص الاستهلالية والذي فجربه الكاتب إشكالية النص ولحظة الذروة الرئيسية منذ البداية بحيث بدا لأول وهلة تشظى المعنى الواسع النابع منه على إشكالية العلاقة السائدة بين الجميع في هذاالزمام والمجتمع الريفي المتناقض مع واقعه، والمتأزم في شكله العام، حيث الواقع يحمل في طياته سطوة التحكم

في الذات والموضوع، لذا جاء هذاالعنوان بمثابة مفتاح رئيسي له أثره المباشر في التلقى والتناول من خلال الحدث الذي جاء متأرجحا بين فعل الحرام ذاته وبين رد الفعل الذي أوجده هذاالفعل على صعيد ما حدث في التفتيش من تنافر حاد في البداية ثم تآلف جمع في نهاية النص بين فلاحى التفتيش والغرابوة الوافدين، كما أن انسحاب هذاالمعنى على ممارسات بعض شخوص الرواية، جاء هو الآخر ليحقق نوعا من التوازن في المعنى المنسحب من خلال هذه الكلمة، وليجسد من الداخل الوجه الآخرللمجتمع والحياة من خلال هذه التيمة عند بعض الشخوص مثل فكري أفندي مأمور الزراعة وزوجته وابنه صفوت، ومسيحة أفندي كاتب الزراعة وابنته لنده وشقيقه المتوقف نمو عقله دميان، والعلاقة الحسية المضمرة التي نشأت بين زوجة فكري أفندي المحاصرة بين جدران منزلها منذ زواجها ودميان بهواجسها المتقاطعة حول صلاحية علاقة دميان المتخلف عقليا مع النساء من عدمه، وأم إبراهيم زوجة فقيه القرية وعلاقتها الأولية بأحمد سلطان ثم محاولتها غواية لندة واستدراجها لمقابلته في بيتها واكتشاف هذاالأمر بواسطة صفوت الذي كان فتح أباه خطبتها وإرساله خطاب لها بهذاالمعنى . وعلاقة زوجة محبوب ساعي بريد العزبة بقريبها في طنطا ومحاولة أيضا إرسال خطاب إليه عن طريق زوجها محبوب، كذلك الخطاب الذي أرسله صفوت إلى لندا ووقع في يد مسيحة أفندي كل هذه الممارسات الحسية التي حشدها يوسف إدريس في روايته جعلت هذاالمعنى في ممارسة الحرام على مستوى الشخصيات الثانوية خلفية للحدث الرئيسي، حيث تعد إشارة العنوان ومعناه الواقع على المطلق من هذاالمعنى يشيرإلى الدال والمدلول في اعتماد الصورة الذهنية لكلمة الحرام، وإدراك ما تحمله دلالات وايحاءات تخدم الركيزة المصورة من الفكرة التي اعتمد عليها الكاتب في تجسيد الواقع أو الرمز الممنوح له. [122]

---

[122] . رواية يوسف إدريس"الحرام" والرؤيا الروائية بعد خمسين عاما – بقلم شوقى بدر يوسف

هذه هي دراستي المتواضعة عن هذه الرواية البارزة التي فصلنا فيها القول لبيان العنصر الواقعي. وخلال الدراسة حاولنا ابراز الجوانب الكامنة، والخصائص البارزة التي تتصف بها هذه الرواية والتي يعتبرها النقاد والأدباء سببا رئيسيا بكونها رائعة.

خاتمة البحث

الآن قد وصلت الى نهاية هذاالبحث المتواضع بفضل الله وكرمه، فله الشكرالجزيل والمنة على هذا التوفيق.

لا يناسب لي أن أقول كلمة كبيرة عن هذا البحث المتواضع، ولاينبغي لنا أن نقول ،برغم أنني قد سعيت سعيا و قمت بأدا ما في وسعي بأحسن طريقة ممكنة. وفي نهاية الأمر ،حينما وصلت الى نهاية المطاف، يضطرني القول بأن هذاالموضوع يحتاج الى دراسة طويلة مكثفة جادة ، ولا يمكن في هذه الفترة القصيرة الاستعراض سائر الميزات والخصائص لهذا المذهب الواقعي بالتفصيل .وأما الذي قد قدمت أمامكم في هذه الآونة فهو غيض من فيض. في البداية خلال هذا البحث قد تجشمت كثيرا من المشاكل والعراقيل في سبيل الوصول إلى اكمال هذا البحث المتواضع بسبب عدم الحصول على الكتب المتعلقة بالموضوع. الا أن مركزنا فيما بعد قد اهتم لنا بتوفير الكتب المتعلقة اهتماما مشكورا من البلاد العربية، وهذا قد مهد لنا أن نقوم باعداد بحوثنا بيسروسهولة.

وقد اتضح لي خلال دراسة هذاالموضوع أن التيارات الفكرية والنظريات الأدبية كانت سائدة ولها صولات وجولات في الآداب العربية،من أهم هذه التيارات والنزعات هو التيارالواقعي. يعرف كل من له أدنى إلمام بهذا الاتجاه أن الروايات العربية هي زاخرة بهذه التيارالبارز المميز، وخاصة الروايات المصرية ،لكن متى جاءت هذه النظرية الأدبية في حيز الوجود في الأدب العربي هو موضع الاختلاف عند العلماء والكتاب، الا أنني قد حاولت وسعيت أن أسلط الضوء على بعض أهم ملامح رئيسية بهذاالصدد. وأثناء دراستي المتواضعة عثرت على الروايات العربية الواقعية الأخرى غير المصرية التي تعالج هذاالموضوع بكل أبعاده ودلالاته وزواياه ونواحيه ولكن بسبب قلة الوقت والخارج من اطارالموضوع لا يمكن لي أن أذكر كل هذه الروايات ولو بشئ من الايجاز. أما خلص البحث التي وصلت اليها بعد دراسة طويلة يمكن لي أن أقدم فيما يلي.

- إن الروايات العربية كانت زاخرة بالاتجاه الواقعي منذ ظهورالفن الروائي في العالم العربي. فهي تصور تصويرا واقعيا صادقا للمجتمع وتعبر عن آمال الشعب وأمانيهم وطموحاتهم ومشاكلهم.
- نعتقد أن الواقعية هي أكثرالاتجاهات الأدبية قوة وحضورا في الأدب العربي، مع أن نزعات أخرى تسير جنبها مثل الرمزية والسريالية وغيرها ولكن لا يزال يمارسها الكتاب.
- أما ظهور هذه النزعة في الأدب العربي هو موضع نقاش وجدال عند الأدباء والنقاد. ومن المعلوم أنها ظهرت في الأدب الانجليزي في نهاية القرن التاسع عشر ولكن في الرواية العربية فالأرجح أنها ظهرت في الثلث الأول للقرن العشرين. فإن تاريخ ظهور "دعاء الكروان" هو سنة 1943م وهذه الرواية هي من الروايات الأولى التي تهتم بدراسة الواقع بشكل واقعي بعيد عن المساواة في الأحلام والأخيلة.
- استنتج البحث أن الروايات العربية المصرية هي أكثر حظا في تمثيل الاتجاه الواقعي بالمقارنة مع الرويات العربية في البلدان العربية الأخرى.أما الكتاب البارزون تتمثل الواقعية في كتاباتهم طه حسين وتوفيق حكيم ونجيب محفوظ وطاهرلاشين وعادل كامل وعبدالرحمن الشرقاوي وفتحي غانم ولطيفة الزيات ويوسف إدريس وغيرهم.
- كشف البحث أن الواقعية في الروايات العربية هي ليست على نمط وشكل كما هي توجد في الروايات الانكليزية والفرنسية . بل نجد بينهما اختلافا كبيرا ملحوظا في الفكر والبناء وطريق المعالجة.
- هناك علاقة ارتباطية وثيقة بين الرواية والمجتمع ، وتتمثل تلك العلاقة في أن المجتمع يغذي الرواية بتمثيلاته الواقعية ، والرواية تصور تلك التمثيلات وتعيد

إنتاجها، ليستهلكها المجتمع ويتأثر بها ، كل ذلك من وجهة نظر الأديب ، وحسب رؤيته التقييمية للمجتمع .

- صورت الروايات بيئة المدينة بوصفها بيئة فيها الكثير من السوء والقبح ، وذلك على الرغم مما فيها من تقدم ، وثراء ، ومتعة ، كما صورت بيئة القرية بوصفها بيئة مريحة معنوياً على الرغم مما فيها من جهد ، ومشقة حسية ، وكذلك كانت صورة البادية . وقد وردت صورة المدينة كثيراً في الروايات ، وأقل منها صورة الريف ، وأقل منهما صورة البادية .
- تهتم الرواية المصرية بتصوير المجتمع منذ فترة مبكرة من عمرها ، أي منذ الروايات التي أبدعها الروائيون في بداية بزوغ الرواية المصرية ، وقد كان تصويرهم للمجتمع نابعاً من اهتمامهم بالرصد ، والتسجيل ، والتوجيه ، أكثر من اهتمامهم بالطرق الفنية التي يقدمون من خلالها تلك الروايات ، هذا هو الغالب الأعم .

ويبقى أخيراً أن في البحث العديد من الجوانب التي تحتاج إلى تعميق في الدرس ، وتفصيل في النتائج ، ويبقى المجال مفتوحاً للحوار حول مضامين تلك النصوص الأدبية ، وقيمها الجمالية ، وهذا يجعلني أقترح نهوض العديد من البحوث حيال تلك المسارات البحثية لتغطي ما لم أتحدث عنه ، أو تقوِّم ما توصلت إليه ، فالبحث الأدبي لا تقال فيه الكلمة الحاسمة .

هذا ، وأشكر الله الكريم على ما أعان ويسر من إتمام هذا البحث ، وأعترف أن الفضل يعود له -سبحانه- أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، وأسأله أن يغفر لي زلل القول ، وخطأ العمل ، إنه ولي حميد .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

- الأيوبي، ياسين، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1984م.
- المقدسي، أنيس، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة،دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، 2000م.
- المقدسي، أنيس، الرواية العربية ببلوجرافيا ومدخل نقدي 1865-1995،المجلدالأول،مقدمات ومدخل نقدي،قسم النشربالجامعة الأمريكية بالقاهرة، القاهرة،نيويورك،1998م.
- النقاش رجاء، في حب نجيب محفوظ، دار الشرق، القاهرة 1995م.
- النقاش، رجاء: أدباء معاصرون، مكتبة المدينة.
- العزب،د. محمد أحمد، عن اللغة والأدب والنقد،(رؤية تاريخية ورؤية فنية) دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1980م.
- الحسني، واضح رشيد،أعلام الأدب العربي في العصر الحديث،دار الرشيد لكناؤ 2009م.

- الدسوقي، عمر، المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دارالفكرالعربي.
- الفاخوري، حنا،الجامع في تاريخ الأدب العربي،دارالجيل بيروت لبنان 1986م.
- العسيلي، الدكتورة ثريا، أدب عبدالرحمن الشرقاوي،الهيئة المصرية العامة للكتاب 2007م.
- الشرقاوي،عبدالرحمن، الأرض، دارالنشرهاتييه،القاهرة.
- إدريس ،يوسف، الحرام،دارالشروق،بيروت،الطبعة الأولى،1987م.
- العشماوي،الدكتورمحمد زكي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية(الشعر– المسرح – القصة – النقد الأدبي)، دارالمعرفة الجامعية.
- الورقي، السعيد: مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عنديوسف إدريس، دارالمعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الأولى 1990م.
- بدير، حلمى، الاتجاه الواقعى فى الرواية العربية الحديثة فى مصر، دارالوفاء لدنيا الطباعة، الطبعة الأولى 2002 م.
- بوشعير، الدكتورالرشيد، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوربية، الأهالي للطباعة والنشروالتوزيع، الطبعة الأولى 1996م.
- بدر،عبدالمحسن طه،تطورالرواية العربية الحديثة،دارالمعارف القاهرة،1944م.

- بدر، عبدالمحسن طه: الرؤية والأداة: نجيب محفوظ،دارالمعارف القاهرة،1984م.
- تيمور،محمود،اتجهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة،المطبعة النموذجية.
- حسن عبدالله، محمد، الريف في الرواية العربية،عالم المعرفة،1989م.
- خضر،عباس،الواقعية في الأدب،دارالجمهورية – بغداد 1967م.
- زين الدين، نوال السيد محمد،لاتا، روايات يوسف إدريس، درقباء.
- ضيف، شوقي،الفن ومذاهبه في النثرالعربي، دارالمعارف، الطبعة السادسة.
- عنان، ليلى الدكتورة، الواقعية في الأدب الفرنسي،دارالمعارف.
- فايزترحيينى، الدكتور،الدارما ومذاهب الأدب،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع،الطبعة الأولى.
- فضل، صلاح: منهج الواقعية في الابداع الأدبي، دارالمعارف القاهرة، الطبعة الثانية 1980م.
- قبش،أحمد: تاريخ الشعرالعربي الحديث،دارالجيل، بيروت.

- كوكن، محمد يوسف:أعلام النثروالشعرفي العصرالعربي الحديث(الجزء الثالث) دارالحافظة للطباعة والنشر،مدراس 1984م.
- كمال، محمد على:عبدالرحمن الشرقاوي الفلاح الثائر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- لوكاتش،جورج: دراسات في الواقعية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، الطبعة الثالثة، 1985م.
- مباركي،د،جمال: الغرب في الرواية العربي الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراة العلوم في الأدب العربي الحديث، 2008-2009
- محمد مندور، الدكتور، في الأدب والنقد،نهضة مصرللطباعة والنشروالتوزيع،الفجالة، القاهرة.
- محفوظ نجيب، زقاق المدق،دارالشروق، الطبعة الرابعة، يوليو2009م.
- وادي، الدكتورطه، القصة ديوان العرب، قضايا ونماذج، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الأولى 2001م.
- هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، نهضة مصرللطباعة والنشروالتوزيع، الطبعة السابعة، يوليو 2006م.
- هيكل،أحمد،دراسات أدبية،دارالمعارف القاهرة، الطبعة الأولى 1980م.

- هيكل، أحمدحسين، الأدب القصصي والمسرحي في مصر،دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة،1983م.
- ياغي، عبدالرحمن: الجهود الروائية من سليم البستانى الى نجيب محفوظ،دار العودة بيروت، 1972م.

الجرائد والمجلات:

- مجلة "العربي" رئيس التحرير، سليمان إبراهيم العسكري،وزارة الإعلام بدولة الكويت،العدد 577- (2006).

باللغة الانكليزية:

- Badwi, M.M.: A short history of Modern Arabic Literature, Clarendon Press, oxford, 1993.
- Cuddon, J.A: A Dictionary of Literary Terms, Indian Book company- 1977.

- Daedalus, Vol.95, No.4, Fiction in Several Languages (fall, 1966), pp.941-960, Published by: The MIT press on behalf of American Academy of Arts & Sciences.
- Journal of Arabic Literature, Vol.7 (1976).pp. 88-100, published by BRILL.
- Wahba,Magdi: Dictionary of Literary Terms, Beirut: Librarie Du Liban, 1974.

المواقع الالكترونية:

- WWW.al-mostafa.com
- WWW.4shared.com
- WWW.jstore.com

محتويات البحث

المقدمة 1-4

الباب الأول: الواقعية، مفهومها، نشأتها وذيوعها في الأدب المصري. 5

الفصل الأول: الواقعية، تعريفها ونشأتها 6

ما هي الواقعية 6

الكلاسيكية 7-11

الرومانسية 12-16

الواقعية 17-24

الاتجاهات الواقعية 25

الواقعية النقدية 25-30

الواقعية الطبيعية 31-35

الواقعية الاشتراكية 36-41

الفصل الثاني: دور الواقعية في الأدب العربي 42-43

الواقعية في الأدب الجاهلي 43-44

الواقعية في الأدب الإسلامي والأموي 44-45

واقعية عمربن أبي ربيعة 45-46

الواقعية في الأدب العباسي 47

واقعية الجاحظ 47-48

واقعية أبونواس 49-50

الواقعية في عصرالنهضة 50

الواقعية في الأدب العربي الحديث 51

الفصل الثالث: ذيوع الواقعية في الأدب الروائي المصري. 52-61

الباب الثاني: الأدباء البارزون الذين أسهموا في اثراء النزعة الواقعية.62

الفصل الأول: نجيب محفوظ ومساهمته في النزعة الواقعية. 63-66

مسيرتة الأدبية 66-72

تعريف وجيزعلى رواياته الواقعية 73-74

خان الخليلي 75-76

زقاق المدق 76-77

بداية ونهاية 77-78

الثلاثية 78-82

الفصل الثاني: عبدالرحمن الشرقاوي ومساهمته في النزعة الواقعية.84-83

مجال عمله 85-88

أعماله 88-91

تعريف وجيز على رواياته الواقعية 92-93

الأرض 93-95

قلوب خالية والفلاح 95-96

الشوارع الخلفية 97-98

الفصل الثالث: يوسف إدريس ومساهمته في النزعة الواقعية. 99-101

مسيرته الأدبية 101-104

الملامح الرئيسية لأدبه 104-106

تعريف وجيزعلى رواياته الواقعية 107-110

الباب الثالث: دراسة نقدية للروايات المنتخبة ذات الطابع الواقعي.111

الفصل الأول: دراسة نقدية لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ.112-116

ما مدى تمثيل الرواية للأدب الواقعي 116-124

القضايا الاجتماعية في الرواية 124-126

دورالشخصيات في الرواية 126-128

الفصل الثاني: دراسة نقدية لرواية "الأرض" لعبدالرحمن الشرقاوي.128-132

الاتجاه الواقعي في الرواية 133-135

دورشخصيات الرواية في تمثيل النموذج الواقعي 135-140

الفصل الثالث: دراسة نقدية لرواية "الحرام" ليوسف إدريس. 141-143

الواقعية في الرواية 143-153

خاتمة البحث 154-156

المصادروالمراجع 157-162

محتويات البحث 163-166

lib copy

Realism in Egyptian Arabic Novels in the Second half of the 20th Century: An Analytical Selective Study

Dissertation submitted to the Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirements for the awards of the degree of

Master of Philosophy

By

KASHIF JAMAL

Under the Supervision of

Prof. F.U. Farooqui

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

2013

TH23057